تفسير

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ؛ أي لـــه كل ذلك خلقاً وملكاً . ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد حيث لا يحمد أحد[١] غيره» ، وقال مقاتل : «يعني يحمده أولياؤه في الآخرة إذا دخلوا الجنة ، فقالوا : الحمد لله الـــذي صدقنا وعده ، والحمد لله الذي هدانا لهذا»[٢] . ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ . قال ابن عباس : «حكيم في خلقه أن يميتهم ثم يحييهم ، الخبير لـمَن أطاعه ومَن عصاه»[٣] .

---

(١) في (أ) : (أحداً) ، وهو خطأ ؛ لأنه نائب فاعل ، ولم أقف على القول منسوباً إلى ابن عباس .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٦ ب .

(٣) لم أقف عليه ، وهكذا جاء في النسخ ، ولعل الصواب : (الخبير لـمَن أطاعه) ؛ لأنه يتعدى بالباء .

وقال قتادة : «حكيم في أمره خبير بخلقه»[١] .

٢. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ : يدخل . ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ : من[٢] مطر أو كنز[٣] ، قاله الكلبي وغيره[٤] . ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ : من زرع ونبات . ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ : من مطر أو مصيبة أو رزق . ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ : من الملائكة وأشباه ذلك من أعمال العباد . ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ، ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوبهم ومساوئهم ، قاله ابن عباس[٥] .

٣. قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ . قال مقاتل : «قال أبو سفيان لكفار مكة : واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبداً ؛ أي لا نُبعث ، فلمَّا حلف على ذلك بالأصنام قال الله لنبيه : قل يا محمد : بلى وربي لتأتينكم الساعة»[٦] ، ثم عاد إلى تمجيد نفسه ، فقال : ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ . قال أبو إسحاق : «الرفع على وجهين : أحدهما : الابتداء ، ويكون ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ الخبر ، والثاني : على جهة المدح لله عز وجل . المعنى هو عالم الغيب . ومَن قرأ بالكسر فهو صفة لله عز وجل ، على

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٣٢ من دون نسبة ، والمؤلِّف في الوسيط ٣/ ٤٨٦ .

(٢) (من) ساقطة من (ب) .

(٣) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (أو كنز) .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٢ ، وذكره غير منسوب السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٦٤ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٥٩٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٣٢ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وذكره غير منسوب الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٣٢ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٥٩٠ ، وزاد المسير ٦/ ٤٣٢ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

تقدير : الحمد لله عالم»[١] . وقرأ حمزة والكسائي : (علام الغيب) على المبالغة لقوله : علام الغيوب[٢] ، وباقي الآية مُفسَّر في سورة يونس[٣] .

٤. قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ . قال مقاتل : «لكي يجزي في الساعة الذين آمنوا»[٤] . قال أبو إسحاق : «دخلت اللام جواباً لقوله : ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ . ﴿لِيَجْزِيَ﴾ ؛ أي للمجازاة ، يعني من أجل المجازاة»[٥] .

٥. ثم بيَّن جزاء الفريقين ، فقال : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الذين آمنوا إلى قوله : ﴿رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ ، وقُرِئ : (أليم) رفعاً وخفضاً . قال أبو إسحاق : «الخفض نعت للرجز ، والرفع نعت للعذاب»[٦] .

قال أبو علي : «الرجز : العذاب ؛ بدلالة قوله : ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف :١٣٤] ، وقوله : ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة :٥٩] . وإذا كان العذاب جاز أن يوصف بأليم كما أن نفس العذاب قد جاز أن يوصف به ، ومَن رفع فهو على نعت قوله : ﴿عَذَابٌ﴾ ، ومثل هذا في أن الصفة تجري في المضاف ، وعلى المضاف إليه أُجري قوله : ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ و(خُضر) ؛ فالرفع على أن يتبع الثياب ، والجر على أن يتبع السندس ، وإذا كان الثياب سندساً ، والسندس خضراً ، فالثياب كذلك ، وتقدير قوله : ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ عذاب رجز ، كما أن قوله : ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ معناه : ثياب من سندس . والجر في الأليم أبين ؛ لأنه إذا كان

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٠ .

(٢) انظر : الحجة ٦/ ٥ ، وعلل القراءات ٢/ ٥٤٧ ، والحجة في القراءات السبع ٢٩١ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس :٦١] .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٠ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤١ .

عذاب من عذاب أليم كان العذاب الأول أليماً ، وإذا أجريت الأليم على العذاب كان المعنى عذاباً ، فالأول أكثر فائدة»[١] .

٦. قوله تعالى : ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ . قال الفرَّاء : «يرى في موضع نصب ، معناه : ليجزي الذين وليرى الذين»[٢] ، ونحو هذا قال أبو إسحاق[٣] . وليس المعنى ما ذكر ؛ لأن اللام في قوله : ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بقوله : ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ على ما بيَّنَّاه ، ولا يجوز أن يكون المعنى : لتأتينكم الساعة ليرى الذين أوتوا العلم أن القرآن حق ، فإنهم[٤] وإن لم تأتهم الساعة يرون القرآن حقاً[٥] .

قال الفرَّاء : «وإن شئت استأنفت (ويرى)[٦] فرفعتها»[٧] ، وهذا هو الوجه لا ما قاله أولاً . ومعنى الرؤية هاهنا العلم . قال مقاتل : «يعني : ويعلم الذين أوتوا العلم بالله ، يعني مؤمني أهل الكتاب»[٨] ، وقال ابن عباس : «يريد أصحاب رسول الله ﷺ»[٩] .

---

(١) الحجة ٦/ ٦ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٥٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٠ .

(٤) في (ب) كرر قوله : (فإنهم) ، وفي (أ) كرر الجملة : (فإنهم وإن لم تأتهم الساعة يرون القرآن حقاً) .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٦٥٦ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٢١ ، والدر المصون ٥/ ٤٣٠ .

(٦) في (أ) : (ترى) ، وهو خطأ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٥٢ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

(٩) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وقد ذكره أكثر المفسرين عن قتادة . انظر : الوسيط ٣/ ٤٨٧ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٣٣ ، وتفسير الطبرسي ٨/ ٥٩٣ ، وزاد المسير ٦/ ٤٣٣ .

وقوله : ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ هو فعل عند البصريين ، ويسميه الكوفيون عماداً ، وقد بيَّنَّا الكلام فيه عند قوله : ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران :١٨٠] . قال الفرَّاء : «ولو رفعت الحق على أن تجعل (هو) اسماً كان صواباً . أنشد الكسائي :

ليتَ الشبابَ هوَ الرجيعُ[١] على الفتى

والشيبُ كانَ هوَ البديءُ الأولُ[٢]

فرفع ونصب في بيت واحد»[٣] .

قوله : ﴿وَيَهْدِىٓ﴾ : معناه الهادي ، ولفظ المستقبل كثيراً ما يراد به لفظ الحال ، يقول : تعلمون الحق القرآن الحق الهادي . ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ . قال مقاتل : «ويدعو إلى دين العزيز في ملكه ، الحميد عند خلقه في سلطانه»[٤] .

وقال الكلبي : «يعني المنيع بالنعمة ممن لم يجب الرسل ، المحمود في أفعاله»[٥] .

٧. قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ : يعني منكري البعث . قال أبو إسحاق : «هذا قول المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث ، قال بعضهم لبعض : هل ندلكم على محمد الذي يزعم أنكم تبعثون بعد أن

(١) في (ب) : (الرجع) .

(٢) البيت من الكامل ، لم أهتدِ إلى قائله ، وهو في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٥٢ ، والزاهر ٢/ ٢٢٤ ، والدر المصون ٦/ ٤٣ ، والجنى الداني ٤٩٣ من دون نسبة .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٥٢ ، وقوله : (فرفع ونصب) يعني رفع في كان ، ونصب في ليت ، فالمرفوع هو البديء ، والمنصوب الشباب .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

(٥) لم أقف عليه .

تكونوا عظاماً ورفاتــاً وتراباً ؟»[١] ، وهذا الذي ذكــره موافق لما قاله المفسرون[٢] .

ومعنــى : ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[٣] إذا صار[٤] قطعــاً بالياً ، قال : «فُرِّقتم كل تفريق ، وقُطِّعتم كل تقطيع . والمزق خرق الأشياء ، والتمزيق تفعيل منه ، يقال : ثوب مزيق ممزوق متمزق ممزق إذا صار قطعاً بالياً»[٥] .

قال ابن عباس : «يريد إذا متم وبليتم»[٦] .

وقال مقاتل : «إذا تفرقتــم في الأرض وذهبت الجلود والعظام وكنتم تراباً ، وهذا من قول أبي سفيان يقوله لكفار مكة»[٧] .

قال أبو إســحاق : «وفي هذه الآية نظير في العربية لطيف ، ونحن نشرحه إن شاء الله . ﴿إِذَا﴾ في موضع نصب بمزقتم ، ولا يجوز أن يعمل فيها جديد ؛ لأن ما بعد أن لا يعمل في ما قبلها ، والتأويل : هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم تبعثون ؟ ويكون إذاً بمنزلة إن الجزاء يعمل فيها الذي يليها . قال قيس بن الخطيم :

إذا قصُرَتْ أسيافُنا كانَ وصلُها

خطانا إلى أعدائِنا فنُضارِبِ

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٦٠ ، وتفســير الماوردي ٤/ ٤٣٤ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٣ ، وبحر العلوم ٣/ ٦٦ .

(٣) (إذا) ساقط من (أ) .

(٤) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (إذا صرتم) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (مزق) ، واللسان (مزق) ١٠/ ٣٤٢ .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٤ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٣ ، وزاد المسير ٦/ ٤٣٤ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

المعنى : يكون وصلهـــا ، الدليل على ذلك جزم : فنضارب ، قال : ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمراً ، يدل عليـــه أنكم لفي خلق جديد ، ويكون المعنى : هل ندلكم على رجل يقول إنكم إذا مزقتم كل ممزق بعثتم ؟ كما قال : ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون :٨٢] ، [الصافات :١٦] كأنهم قالوا : أئذا متنا وكنَّا تراباً نحاســـب ونعذب ! قال : ويجوز إنكم لفي خلق جديد ؛ لأن اللام إذا جاءت لم يجز [كسر][(١)] إن» . انتهى كلامه[(٢)] .

قال أبو علي الفارسي : «يســـأل في هذه الآية عـــن موضع إذا ، وبأي الأفعال يحكـــم على موضعه ، وفي الآية ممـــا يمكن أن ينتصب به الظروف ثلاثة أشـــياء : قوله : ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ ، وقولـــه : ﴿مُزِّقْتُمْ﴾ ، وقوله : ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ، فلا يجوز أن يكون موضع إذا نصباً بقولـــه : ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ ؛ لأن إذا لا يجوز أن تكون ظرفاً لهذا الفعل ؛ لأن التنبؤ إنما تقع مثل[(٣)] الموت وأن يمزقوا بعد الموت ، فامتنع أن ينتصب إذا به ، وحمل ينبئكم على أنه بمعنى القول ؛ لأنه ضرب منه .

فأمَّـــا قوله : ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ فإن جعـــل موضع إذا نصباً به لـــزم أن يحكم على موضعه بالجزم[(٤)] ؛ لأن إذا هذه لا يجوز أن تنتصب به حتى يقدر جزم الفعل الذي هو الشرط [بها][(٥)] بما لا يسوغ أن يحمل عليه الكتاب ؛ لأنه إنما يجزم بها في ضرورة الشعر ، وإذا لم يجر[(٦)] بها أضيف إلى الفعل ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا

---

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٣) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (قبل) .

(٤) في (ب) : (لزم أن يحكم عليه بالجزم) .

(٥) «بها» ساقطة من (ب) ، «وبما» ساقطة من (أ) .

(٦) هنا ســـقط في النقل عن أبي علي ، فقد ورد عنه في المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات ٢١٤ ما نصه : «إنما يجزم بها في ضرورة الشـــعر ، وإن حمل موضع (إذا) عـــلى أنه نصب والفعل غير مقدَّر في موضعه الجزم لم يجز ؛ لأنه إذا لم يجز بها أضيفت إلى الفعل والمضاف إليه لا يعمل . . .» .

في ما قبله ، وموضع الفعـــل الواقع بعد إذا خفض ، وكما لا يعمل[١] المضاف إليه في مـــا قبله كذلك لا يجوز أن يكون موضع إذا نصباً بمزقتم إذا كانت قبلها وحتى مضافة إليها .

ولو قلت : زيداً غلام ضارب عندك لم يجز ، وكذلك سائر ما يتعلق بالمضاف إليه لا يجوز أن يتقدمـــه . ومما يدل على أن موضع الفعل بعد إذا خفض بالإضافة ارتفاع الفعل المضارع بعدها ، نحو : إذا يجيء زيد أكرمه ، والفعل المضارع ليس يرتفع حتى يقع موقع اســـم مرفوع أو مجرور أو منصـــوب ، وهذا علة ارتفاعه ، وإنما ارتفع بعد إذا لوقوعه موقع اسم مجرور ، ولا يجوز أن يكون موضع إذا نصب بقوله جديد على تقدير : إنكم لفـــي خلق جديد إذا مزقتم ؛ لأن إذا قبل إن ، وما قبل إن لا يجوز أن يعمل فيه مـــا بعدها ، لا يجوز : طعامك إن زيداً أكل ؛ لأن إن للابتداء فهو منقطع عمَّا قبله ، وإذا امتنـــع هذه الوجوه فالناصب لـ (إذا) مضمر يدل عليه قوله : ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ، كأنه في التقدير : ينبئكم إذا مزقتم كل ممـــزق بعثتم أو نشرتم أو ما أشـــبه هذا من الأفعال التي يكـــون قوله : إنكم لفي خلق جديد دالاً عليه ومفسراً له . وإن قدر هذا الفعل قبل إذا كان سابقاً ، فيكون ينبئكـــم يقول لكم تبعثون إذا مزقتم كل ممزق . قال : وقد أجاز شـــيخ لنا -يعني السراج-[٢] أن يكون موضع إذا نصباً بمزقتم»[٣] ، وهو عندي ممتنع لما ذكرت لك ، ومثـــل هذا عندي قولـــه : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون : ١٠١] ، وقد تقدَّم الكلام فيها .

---

(١) في (أ) : (يفعل) .

(٢) أبو محمد جعفر بن محمد بن الحســين بن أحمد البغدادي السراج القارئ ، أديب عالم بالقراءات والنحو واللغة ، وُلد ســنة ٤١٧ هـ ، وقيل ٤١٩ هـ ، له مؤلَّفات منها : مصارع العشـــاق ، ومناقب الحبش ، ونظم كتاب الخرقي في فقه الحنابلة جعله نظماً ، توفي -رحمه الله- ســنة ٥٠٠ هـ . انظر : إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٨ ، والأعلام ٢/ ١٢١ .

(٣) المسائل البغداديات ٢١٣ ، ٢١٨ .

٨. قوله تعالى : ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ : هذا أيضاً من قول الكفار بعضهم لبعض ، قالوا : افترى محمد على الله كذباً حين زعم أنَّا نُبعث بعد الموت ، والألف في ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ ألف الاستفهام ، وهو استفهام تعجب وإنكار . ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ . يقولون : أزعم كذباً أم به جنون ، فرد الله عليهم ، فقال : ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ؛ أي ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون ، هم لأجل ما قالوا ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ في الآخرة ، ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ من الحق في الدنيا . وهذا الذي ذكرنا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي[٤] .

٩. وفي هذه الآية وعظهم وخوَّفهم ليعتبروا ، فقال : ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . قال مقاتل : «وذلك أن الإنسان حيث ما نظر رأى السماء والأرض ؛ إن نظر قدامه ، وإن نظر خلفه»[٥] .

وقال قتادة : «إنك إذا نظرت عن يمينك وعن[٦] شمالك أو من بين يديك أو من خلفك كانت السماء والأرض»[٧] .

ثم هدَّدهم فقال : ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ فتبتلعهم . ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ : يعني جانباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فيهلكهم . والمعنى : أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم ، أنا القادر عليهم لا يعجزونني ، إن شئت خسفت بهم أرضي ، وإن شئت أسقطت عليهم قطعة من السماء ، أفلا يعتبرون ولا يخافون .

---

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٢٩ ، وتفسير مقاتل ٩٧ أ . والقول غير منسوب في تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٤ ، وبحر العلوم ٣/ ٦٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٣ .

(٥) لم أقف عليه عن مقاتل ، وقد ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٣٥ ، ولم ينسبه .

(٦) في (ب) : (أو عن) ، زيادة همزة .

(٧) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٤ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ٦٤ ، وبحر العلوم ٣/ ٦٧ .

وأدغم الكسائي[١] وحده الفاء من قوله : ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ . قال أبو علي : «إدغام الفاء في الباء لا يجوز ، فإن جاز إدغام الباء في الفاء نحو : أذهب في ذلك ؛ وذلك أن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الشفايا العليا ، فانحدرت الصوت إلى الفم حتى اتصلت بمخرج الباء صارت بمنزلة حرف من موضع التاء ، فلم يجز إدغامها في الباء كما لا يجوز إدغام التاء فيه ؛ لزيادة صوت الفاء على صوت التاء ، وكذلك الباء[٢] أدغمت في الميم نحو : اصحب مطراً ، وإن لم تدغم هي في الباء نحو : اضمم بكراً ، لما فيها من زيادة الغنة التي ليست في التاء ، وكذلك الراء لم تدغم في اللام نحو : احتر ليلة ، وإن كانت اللام أدغمت في الراء نحو : اغسل راحتك ، فما كان من الحروف فيه زيادة وصوت لم يجز إدغامه في مقاربه العادي من تلك ، كذلك الفاء مع الباء .

اختلفوا في النون من قوله : (نشأ نخسف) أو (نسقط) ؛ فقرأ حمزة والكسائي بالياء ، في الأحرف الثلاثة ؛ لقوله : ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ، والباقون بالنون ؛ لقوله في ما بعد : ﴿ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ﴾ ، والنون أشبه بآتينا»[٣] . قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ ؛ أي في ما يرون من السماء والأرض ، لآية تدل على قدرة الله على البعث ، وعلى ما يشاء من الخسف بهم وإهلاكهم .﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ . قال ابن عباس : «راجع إلى مرضات الله»[٤] .

---

(١) انظر : الحجة في القراءات السبع ٢٩٢ .

(٢) في (ب) : (التاء) .

(٣) الحجة ٦/ ٧ ، ٨ .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس ٤٢٩ ، قال : «مقبل إلى الله وإلى طاعته» .

وقال قتادة : «تائب»[١] ، وقال السُّـدِّي : «مقبل إلى طاعة الله»[٢] ، وقال أبو إسـحاق : «إن في ذلك علامة تدل على مَن أناب إلى الله ، وتأمَّل ما خلق على أنه قادر على أن يحي الموتى»[٣] .

١٠. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ ؛ أي أعطيناه من عندنا فضلاً . قال ابن عباس : «يريد تفضلت عليه وأعطيته ما لم أُعطِ أحداً قبله ولا بعده»[٤] ، وقال مقاتل : «يعني بالفضل : النبوة والكتاب»[٥] .

قال الكلبي : «يعني النبوة وما أعطي من الدنيا»[٦] . قوله : ﴿يَٰجِبَالُ﴾ . قال أبـو عبيدة والزَّجَّاج : «هو مختصر . المعنى : وقلنا يا جبال ﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ ورجعي التسبيح»[٧] . قال المفسرون كلهم : «سبحي معه» .

قال أبو إسـحاق : «أوبي معه معناه : رجعـي ، يقال : آب يؤوب إذا رجع ، ومعنى رجعي معه ؛ أي سبحي معه ورجعي التسبيح»[٨] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٦٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٤ .

(٢) لم أقف عليه عن السُّدِّي ، وقد ذكر نحوه الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٣٥ عن قتادة ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٣٥ ، ولم ينسبه .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٢ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٣٥ ، ولم ينسبه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(٦) لم أقـف عليه منسـوباً إلى الكلبي ، وقد ذكره أكثر المفسرين غير منسـوب . انظر : تفسـير الماوردي ٤/ ٤٣٥ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٧ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٤ ، وزاد المسير ٦/ ٤٣٥ .

(٧) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٤٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٣ .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٣ .

وقال غيره : «التأويب في كلام العرب : سير النهار كله إلى الليل ، يقال : أوب تأويباً . والمعنى : يا جبال أوبي النهار كله إلى الليل بالتسبيح[١]» . قال سلامة بن جندل :

يومانِ يومُ مُقاماتٍ وأندية ويومُ سيرٍ إلى الأعداءِ تأويبَ .

وروى أبو عبيد عن أبي عمرو : «التأويب أن يسير النهار وينزل الليل»[٢] .

وهذا اختيار ابن قتيبة ، وأنشد للراعي ، فقال :

لحقْنا بحيٍّ أوَّبوا السيرَ بعدَ ما
دفعْنا شعاعَ الشمسِ والطرفُ يجنحُ[٣]

قال : كأنه أراد أوبي النهار كله بالتسبيح إلى الليل»[٤] .

قال المفسرون : «وكانت إذا سبح داود سبحت الجبال معه»[٥] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (آب) ١٥/ ٦٠٨ ، واللسان (أوب) ١/ ٢٢٠ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٤٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (آب) ١٥/ ٦٠٨ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للراعي النميري في ديوانه ٣٩ ، ونسبه ابن قتيبة إلى ابن مقبل في غريب القرآن ٣٥٣ ، وكذا أبو حيان في البحر ٧/ ٦٣ ، والقرطبي في تفسيره ١٤/ ٢٦٥ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٠٣/ ٢١١ ب .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن ٣٥٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٦٥ ، وبحر العلوم ٣/ ٦٦ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٣٥ .

وقال وهب[١] : «كان داود إذا نـادى أجابته الجبال بصداها ، فصدى الجبل الذي يستمعه الناس من ذاك»[٢] .

قوله عز وجل : ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ . قال أبو إسـحاق : «في نصب (والطير) ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون عطفاً على قوله فضلاً[٣] ، كأنه آتينا داود فضلاً والطير ؛ أي وسخرنا له الطير»[٤] .

وروى هذا يونس عن أبي عمرو[٥] .

وقال الفرَّاء في هذا الوجه : هو كقولك : أطعمته طعاماً ، وسقيته ماءً[٦] .

الوجه الثاني : أن يكون نصباً على النـداء ، كأنه قيل : ادعوا الجبال والطير ، فالطير معطـوف على موضع [الجبـال][٧] في الأصل ، وكلٌّ منـادى في موضع نصب[٨] .

---

(١) أبو عبدالله وهب بن منبه بن كامل الصنعاني الذماري ، تقدَّمت ترجمته .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٥ .

(٣) في (أ) : (فضلنا) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٣ .

(٥) انظر : علل القراءات ٢/ ٥٤٩ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٢٥ ، والكتاب لسيبويه ٢/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٥٥ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٣ .

وقال أبو عبيدة : «زعم النحويون أن سبيل نصبها كقولك : يا زيد والصلت أقبلا»[١] .

قال الفرَّاء : «نصبت الصلة ؛ لأنه إنما يدعى بيـاء أها[٢] ، فإذا فقدها[٣] كان كالمعدول عن جهته فنصب»[٤] . هذا كلامه . وقول أبي إسحاق : [أوجه][٥] .

الوجـه الثالـث : أن يكـون الطير منصوباً عـلى موضع مع ، كـما تقول : قمت وزيـداً . المعنى : مع زيد . والمعنى في الآيـة : أوبي معه ومع الطير[٦] . قال ابن عباس : «كانت الطير تسبح معه إذا سبح»[٧] .

وقولـه : ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ . قـال ابن عبـاس : «حتى صـار عنده مثل الشمع»[٨] ، وقال الحسن : «كان يأخذ الحديد بيده ، فيصير كأنه عجين»[٩] .

وقال قتادة : «ألان[١٠] الله له الحديد ، فكان يعمله بغير نار»[١١] .

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٤٣ .
(٢) في (ب) : (بيائها) .
(٣) في (ب) : (بعدها) .
(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٥٥ .
(٥) هكذا في النسخ ، والذي يظهر لي أن ما بين المعقوفين زيادة .
(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٣ .
(٧) انظر : الوسيط ٣/ ٤٨٨ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٣٥ ، وزاد المسير ٦/ ٤٣٦ .
(٨) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٧ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٢٥ .
(٩) نفسه .
(١٠) في (أ) : (ألانه) ، وهو خطأ .
(١١) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٦٦ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٣٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٦ .

وقال الأعمش : «أُلين له حتى كان مثل الخيوط»[١] .

وقال مقاتل : «كان داود يسرد الدرع لا يفرغها بحديد ولا يدخلها النار ، ويفرغ من الدرع في بعض اليوم أو بعض الليلة ثمنها ألف درهم»[٢] .

١١ . قوله تعالى : ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ . قال أبو إسحاق : «أن اعمل هاهنا في تأويل التفسير ، كأنه قيل : وألنَّا له الحديد ؛ لأن يعمل سابغات ، ويكون بمعنى : وألنَّا له الحديد ؛ لأن يعمل سابغات ، وتصل إن بلفظ الأمر ، ومثل هذا من الكلام قولك : أرسل إليه أن قم إلى فلان»[٣] . فأمَّا معنى سابغات فقال الليث : «سبغت الدرع ، وكل شيء طال إلى الأرض فهو سابغ ، يقال : مطر سابغ ، ونعمة سابغة ، وقد أسبغها الله ، والدرع السابغة التي تجرها في الأرض أو على كعبيك طولاً وسعةً ، ويقال : دروع سابغات وسوابغ[٤] ، ومنه قول الهذلي[٥] :

أوْ صنعُ السوابغِ تُبَّعُ[٦]

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٤ .

(٤) انظر قول الليث في : تاج العروس (سبغ) ٢٢/ ٤٩٨ . انظر أيضاً : تهذيب اللغة (سبغ) ٨/ ٤٠ ، واللسان (سبغ) ٨/ ٤٣٢ .

(٥) أبو ذؤيب خالد بن محرث الهذلي ، مشهور بكنيته ، شاعر فحل من أشعر شعراء هذيل ، عَدَّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من طبقات فحول شعراء أهل الجاهلية ، شاعر مخضرم قَدِم المدينة عند وفاة النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه ، خرج مع عبدالله بن الزبير في مغزى نحو المغرب ، توفي سنة ٢٧هـ تقريباً ـرحمه اللهـ . انظر : طبقات فحول الشعراء ١/ ١٢٣ ، والشعر والشعراء ٤٤٠ ، والأعلام ٢/ ٣٢٥ .

(٦) هذا جزء من بيت ، هو :

وَعَلَيهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ

وهو من الكامل لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١/ ٣٩ ، وتهذيب اللغة ٢/ ٣٨ ، واللسان (تبع) ٨/ ٣١ ، و(صنع) ٨/ ٢٠٩ ، والمعاني الكبير ١٠٣٩ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٦٠ . قال هذا البيت يصف متبارزين .

وقال عبدالله بن الزبير :

وسابغةٍ تغشى البنانَ كأنَّها

أضاةٌ بضحضاحٍ منَ الماءِ ظاهرِ» .

قال أبو إسحاق : «ومعنى سابغات ؛ أي دروع سابغات ، فذكر الصفة ؛ لأنها تدل على الموصوف ، ومعنى السابغ الذي يغطي ما تحته حتى يفضل»[١] . قال ابن عباس في قوله : ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ : «يريد : دروع الحديد»[٢] ، وقال مقاتل : «يعني الدروع الطوال ، وكانت الدروع قبل داود إنما هي صفائح الحديد مضروبة»[٣] .

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ . قال أبو عبيدة : «في سردها ، يقال : درع مسرودة ، وقال أبو ذؤيب :

وَعَلَيهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا»[٤]

وقال الليث : «السرد : اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الخلق ، ويسمى سرداً ؛ لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار»[٥] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٥٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٤٣ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (سرد) ١٢/ ٣٥٦ ، وتاج العروس (سرد) ٨/ ١٨٧ .

وقال ابن قتيبة : «[والسرد : سجع المدرع]»[١] ، «ومنه قيل لصانع الدروع : سَرَّاد وزَرَّاد ، تبدل من السين زاياً»[٢] .

وقال الـمُبرِّد : «السرد نقب المسامير ، يقال : درع مسرودة[٣] إذا أحكمت مساميرها»[٤] . قال الأعشى :

ومنْ نسجِ داودَ [مصردةً][٥] مسرودةً

تساقُ معَ الحيِّ عيراً فعيرا[٦]

قال الزَّجَّاج : «السرد في اللغة : مقدمة شيء إلى شيء حتى ينسق أثره في أثر بعض سابغاً ، يقال : سرد فلان الحديث سرداً»[٧] إذا تابعه ، وسرد فلان الصوم إذا والاه ، والمتتابع[٨] يسمى سرداً . وقيل لأعرابي : ما أشهر الحرم ؟ فقال : ثلاثة سرد وواحد فرد . ويسمى الحرز سرداً ؛ لأنه متتابعة من المحرز[٩] ، والمحرز يقال له : السراد والمسرد ، فجاء من هذا أن اعمل الدرع ، وكل شيء منه يسمى سرداً[١٠] .

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في غريب القرآن لابن قتيبة ، ويظهر أنه زيادة من النساخ ؛ إذ لا معنى له ، والله أعلم .

(٢) تفسير غريب القرآن ٣٥٤ .

(٣) في (ب) : (مسرود) .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة في (ب) ، وهو خطأ .

(٦) البيت من المتقارب ، وهو للأعشى في ديوانه ١٤٩ ، ومجاز القرآن ٢/ ٢٤٨ ، واللسان (وضن) ١٣/ ٤٥٠ ، فقد جاءت الرواية في اللسان : (موضونة) بدل (مسرودة) ، والموضونة هي : المنسوجة .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٤ .

(٨) في (ب) : (والتابع) .

(٩) في (ب) : (الحروف) ، وهو خطأ .

(١٠) انظر : تهذيب اللغة ١٢/ ٣٥٦ ، واللسان ٣/ ٢١١ ، وتاج العروس ٨/ ١٨٦ .

وقال ابن عباس في رواية مجاهد : «لا تدق المسامير وتوسع الحلق فيسلس ، ولا يغلظ المسامير ويضيق الحلق فينقصم[١١] ، اجعله قدراً»[١٢] .

وقال ابن قتيبة : «السرد : المسامير التي في حلق الدرع»[١٣] ، وهذا هو الأشبه بالمعنى ؛ لأن الكل من أهل التأويل ، قالوا في معنى الآية : «لا تجعل المسامير دقاقاً فتقلق ، ولا غلاظاً فتكسر الحلق»[١٤] .

وقال مقاتل : «يقول قدر المسامير في الحلق ، ولا تعظمه فينفصم ، ولا تصغره فيسلس»[١٥] .

وقال أبو إسحاق : «وهو أن لا يجعل المسمار غليظاً والثقب دقيقاً ، ولا يجعل المسمار دقيقاً والثقب واسعاً فيتقلقل ، قدر في ذلك ؛ أي اجعله على القصد وقدر الحاجة»[١٦] .

وقال مقاتل[١٧] : «ثم قال الله لآل داود : ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾» . قال ابن عباس : «يريد اشكروا الله بما هو أهله مثل قوله : ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾»[١٨] .

---

(١١) في (ب) : (فينقهم) ، وهو خطأ .

(١٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٦٨ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٣٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٨ .

(١٣) لم أقف عليه .

(١٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٨ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٥٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٤ .

(١٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(١٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٤ .

(١٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(١٨) لم أقف عليه .

١٢. ثم ذكر ابنه سليمان وما أعطاه من الخير والكرامة، فقال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾. قال الفرَّاء: «نصب الريح على: وسخرنا لسليمان الريح، وهي منصوبة في الأنبياء. ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [سبأ: ٨٢] أضمر: وسخرنا، ورفع عاصم: ولسليمان الريح، لما لم يظهر التسخير، وأنشد:

ورأيتما لمجاشعٍ نعماً وبني أبيةَ جاملا[١] رغبُ[٢]

يريد رأيتم لبني أبية، فلمَّا لم يظهر[٣] الفعل رفع باللام»[٤]. فقال أبو إسحاق: «النصب في الريح على الوجه، على معنى: وسخرنا لسليمان الريح، ويجوز الرفع على معنى: [ثبتت][٥] له الريح، وهو يؤول إلى معنى: سخرنا كما أنك إذا قلت: لله الحمد، فتأويله: استقر لله الحمد[٦]، وهو يرجع إلى معنى: أحمد الله الحمد»[٧].

وقال أبو علي: «وجه النصب أن الريح حملت على التسخير في قوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾ [ص: ٣٦]، كذلك ينبغي أن تحمل هنا عليه. ووجه الرفع أن الريح إذا سخرت لسليمان، جاز أن يقال: له الريح، على معنى: له

(١) هكذا في النسخ، وهو خطأ، والصواب: (جامل).

(٢) البيت من الكامل، ولم أهتدِ إلى قائله، وهو من دون نسبة في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٥٦ـ٤٠١، وديوان الأدب ١/ ٣٥٨. والجامل: جماعة الجمال والنوق، والرغب: كل ما اتسع فقد رغب رغباً. انظر: اللسان (جمل) ١١/ ١٢٤، واللسان (رغب) ١/ ٤٢٤.

(٣) في النسخ: (يضمر)، والتصحيح من معاني القرآن للفرَّاء.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٥٦.

(٥) ما بين المعقوفين غير واضح في النسخ جميعها، والتصحيح من معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج.

(٦) في (أ): (الوحد).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٥.

تسخير[١] الريح ، فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب ؛ لأنه المصدر المقدَّر في تقدير الإضافة إلى المفعول به»[٢] .

قوله تعالى : ﴿غُدُوُّهَا﴾ ؛ أي سير غدو تلك الريح المسخرة له شهر ؛ أي مسيرة شهر ، وعلى هذا التقدير قوله : ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ ؛ أي سير رواحها سير شهر . قال الحسن : «كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر[٣] ، وبينهما مسيرة شهر للمسرع ، ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل[٤] ، وما بينهما مسيرة شهر للمسرع»[٥] .

وقال السُّدِّي : «كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب» .

وهذا قول جماعة المفسرين[٦] ، قالوا : «والمعنى إلى غدوها ، إلى انتصاف النهار ، إلى الليل مسيرة شهر» .

قوله تعالى : ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ ؛ أي أذبنا له عين النحاس .

---

(١) في (ب) : (لتسخير) .

(٢) الحجة ٦/ ١٠ .

(٣) اصطخر (بالكسر ، وسكون الخاء المعجمة ، والنسبة إليها اصطخري) : بلدة بفارس ، وهي من أعيان حصون فارس ، وفيها كانت قبل الإسلام خزائن الملوك ، ومن أشهر مدنها : البيضاء ، ومائين ، ويزد ، ينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم . انظر : معجم البلدان ١/ ٢١١ .

(٤) كابل (بضم الباء الموحدة ، ولام) : من ثغور طخارستان ، ولها من المدن : واذان ، وخواش ، وخشك ، وجزه ، غزاها المسلمون أيام بني مروان وفتحوها ، قلت : هي عاصمة جمهورية أفغانستان اليوم . انظر : معجم البلدان ٤/ ٤٢٦ .

(٥) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٧ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٢٦ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٩ .

(٦) انظر : المراجع السابقة .

وقال ابن عباس والسُّـدِّي وشهر بن حوشب ومجاهد ومقاتل : «أجريت له عين الصفـر ثلاثة أيام بلياليهن كمجرى الماء في صنعـاء ، يعمل بها ما أحب كما يعمل بالطين ، وإنما يعمل الناس اليوم بما أعطي سليمان»[١] .

وقوله : ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ﴾ ؛ أي سـخرنا له من الجـن . ﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ ؛ أي بأمر ربه . قال مقاتل : «يعني رب سليمان»[٢] .

قال ابن عباس : «سخرهم وأمرهم بطاعته في جميع ما يأمرهم به»[٣] .

﴿وَمَن يَزِغْ﴾ ؛ أي ومَـن يعـدل ﴿مِنْهُمْ﴾ من الجـن ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ لهم بطاعة سليمان . ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ . قال مقاتل : «يعني الوقود في الآخرة» ، وهو قول أكثر المفسرين .

وقال عطاء عن ابن عباس : «﴿مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ الوقود» ، وهذا القول على هذا الإطلاق يحتمل ما قال بعضهم : «إن هذا العذاب لـمن زاغ عن أمر سليمان كان في الدنيـا ؛ وذلك أن الله تعالى وكَّلَ ملكاً بيده سـوط من نار ، فمَن زاغ من الجن عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته»[٤] .

١٣ . قوله تعالى : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ﴾ . قال مجاهد : «بنياناً دون القصور»[٥] .

---

(١) انظر : تفسـير الماوردي ٤/ ٤٣٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٨ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٠ ، وزاد المسير ٦/ ٤٣٨ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(٣) انظر : مجمع البيان ٨/ ٥٩٨ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٢٩ .

(٤) انظر : تفسـير مقاتل ٩٧ ب ، وتفسـير المـاوردي ٤/ ٤٣٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٨ ، وزاد المسـير ٦/ ٤٣٩ .

(٥) تفسير مجاهد ٥٢٤ .

وقال قتادة : «قصور ومساجد»[١] .

وقال الضحاك ومقاتل : «يعني المساجد»[٢] .

وقال ابن زيد : «هي المساكن»[٣] .

وقال أبو عبيدة : «المحراب سيد البيوت»[٤] .

وقال أبو إسحاق : «أشرف موضع في الدار وفي البيت يقال له : محراب»[٥] .

وقال المُبرِّد : «أطبقوا على أنها لا تكون إلَّا أن يرتقى إليها بدرج[٦] ، ومن ذلك قوله : ﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص :٢١]» . وذكرنا تفسير المحراب في سورة آل عمران[٧] .

قوله تعالى : ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ . قال المُبرِّد : «جمع تمثال ، وهو كل شيء مثلته بشيء»[٨] ، وقال الأزهري : «التمثال اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله ، وأصله من : مثَّلت الشيء بالشيء إذا قدَّرته على قدره ، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً ، واسم ذلك الممثل تمثال»[٩] .

---

(١) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٨ ، وزاد المسير ٦/ ٤٣٩ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ أ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ٧٠ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٩ .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧١ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٦ .

(٦) لم أقف على قول المُبرِّد .

(٧) عند الآية رقم : ٣٧ .

(٨) لم أقف على هذا القول منسوباً إلى المُبرِّد ، وانظر : تهذيب اللغة (مثل) ١٥/ ٩٨ ، واللسان (مثل) ١١/ ٦١٤ .

(٩) تهذيب اللغة (مثل) ١٥/ ٩٨ .

قال المفسرون : «هي صورة من نحاس وزجاج ورخام كانت الجن تعملها ، قالوا : وهي صورة الأنبياء والملائكة ، كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة ، هذا يدل على أن التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان»[١] .

قوله تعالى : ﴿وَجِفَانٍ﴾ : جمع جفنة ، وهي[٢] القصعة الكبيرة ، والعدد الجفنات[٣] كالجوابي جمع الجابية ، وهي الحوض الكبير يجبي الماء ؛ أي يجمعه . قال الأعشى :

نفى الذمَّ عنْ رهطِ المُحلَّقِ جَفنَةٌ كجابيةِ الشيخِ العراقيِّ تفهقُ[٤]

قال المفسرون : «يعني قصاعاً في العظم كحياض الإبل يجلس على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها»[٥] . والقُرَّاء يختلفون في إثبات الياء في الجوابي ؛ فقرأ ابن كثير بالياء فيها وصلاً[٦] ووقفاً ، وهو الأصل والقياس ؛ لأن هذه الياء تثبت مع الألف واللام ، ووقف أبو عمرو بغير ياء ؛ لأنه شبهها بالفاصلة والوقف[٧] . قال أبو إسحاق : «لأن الكسر ينوب عنها» .

---

(١) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨ ، وبحر العلوم ٣/ ٦٨ ، وتفسير هود بن محكم ٣/ ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٢ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٠٠ .

(٢) في (أ) : (وهو) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١١/ ١١٢ ، واللسان (جفن) ١٣/ ٨٩ .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للأعشى في ديوانه ٢٢٥ ، وانظر منسوباً إليه في : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٦ ، والدر المصون ٥/ ٤٣٥ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٦ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٥ . والمعنى هنا يقول : صان آل المحلق أعراضهم بالجود ، ونفى عنهم الذم جفنة ضخمة تقدم للضيفان كأنها حوض الماء يمده نهر العراق . انظر : الديوان ٢٢٥ .

(٥) انظر : بحر العلوم ٣/ ٦٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٠٠ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٥ ، وزاد المسير ٦/ ٤٤٠ .

(٦) في (ب) : (وقفاً ووصلاً) تقديم وتأخير .

(٧) الحجة ٦/ ١٠ ، والحجة في القراءات السبع ٢٩٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٢٨ .

قوله تعالى : ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ . قال المفسرون : «قدور عظام ، لها قوائم لا يحركن عن أماكنها ولا يحركن لعظمها ، ثوابت على أثافيها ، تنحت من الجبال وكانت بأرض اليمن ، وكان ملك سليمان ما بين كابل ومصر»[١] .

ثم قال : «قوله تعالى : ﴿اعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ لما أعطيتكم من الفضل والخير[٢] ؛ أي وقلنا اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما آتاكم» . قال أبو إسحاق : «شكراً ينتصب على وجهين ؛ أحدهما : اعملوا للشكر ؛ أي اشكروا الله على ما آتاكم ، والثاني : ينتصب على المصدر ، كأنه قيل : اشكروا شكراً»[٣] ؛ لأنه معنى اعملوا آل داود شكراً .

قال مجاهد : «لما نزلت ﴿اعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ قال داود لسليمان : إن الله قد ذكر الشكر ، فاكفني قيام النهار أكفك قيام الليل ، قال : لا أستطيع ، قال : فاكفني إلى صلاة الظهر فكفاه»[٤] .

١٤. قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ . قال المفسرون : «كانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون الغيب الذي يكون في غدٍ ، فابتلوا بموت سليمان ، فمات سليمان متكئاً على عصاه ، وبقي كذلك ميتاً سنة ، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان ، لا يشعرون في موته حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتاً ، فحينئذٍ علموا بموته ، وعلموا

---

(١) انظر : بحر العلوم ٣/ ٦٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٠٠ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٦ ، وزاد المسير ٦/ ٤٤٠ .

(٢) في (ب) : (من الخير والفضل) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٦ .

(٤) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٦٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٠١ ، وروح المعاني ٢٢/ ١٢٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/ ٣٨٠ ، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي حاتم عن مجاهد .

الإنس أن الجن لا تعلم الغيب ، فذلك قوله : ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾» ، قال المفسرون : «يعني الأرضة»[١] .

وقوله : ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ : قالوا : «عصاه» . قال السُّدِّي : «هي بلسان الحبشة»[٢] ، وقال ميسرة : «هي بلغة اليمن»[٣] .

وقال أبو عبيدة : «المنسأة التي ينساء بها الغنم»[٤] .

وقال الفرَّاء : «هي العصاة العظيمة التي تكون مع الراعي ، أخذت من نسأت البعير : إذا زجرته ليزداد سيره»[٥] .

وقال أبو إسحاق : «المنسأة التي ينسأ بها ؛ أي يطرد ويزجر»[٦] .

وقال أبو عبيدة : «هي التي يضرب بها»[٧] ، وقال أبو علي الفارسي : «هي من نسأت الغنم ، إذا سقيتها»[٨] ، وأنشدوا قول طرفة :

أمونٍ كألواحِ الإرانِ نسأتُها ... على لاحبٍ كأنَّهُ ظهرُ بُرجدِ[٩][١٠]

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٧٤ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٤١ ، وبحر العلوم ٣/ ٦٨ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٢ ، وغرائب القرآن ٢٢/ ٤٥ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٤١ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٨ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ٧٣ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٤٥ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٥٦ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٧ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (سقتها) . انظر : الحجة ٦/ ١١ .

(٩) في (ب) : (حدد) ، وهو خطأ .

(١٠) البيت من الطويل ، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه ٢٢ ، وشعراء النصرانية في الجاهلية ٣/ ٣٠٠ ، ولسان العرب (نسأ) ١/ ١٧٣ ، و(أرن) ١٣/ ١٥ ، وكتاب العين ٨/ ٢٧٨ . ومعنى البيت : الأمون : =

وقال الـمُبرِّد : «المنسأة : العصا ؛ لأنها ينسأ[١] بها الطريق ؛ أي يقصد ، يقال : نسأت الناقة ، إذا حملتها على الطريق ، وأنشد قول طرفة»[٢] .

وأكثر القُرَّاء على همزة المنسأة . وقرأ نافع وأبو عمرو بغير همز . قال أبو عبيدة : «تركوا همزها كما ترك بعضهم همز البرنة والذرية والنبئ» . قال الـمُبرِّد : «بعض العرب يبدل من همزتها ألفاً فيقول : منساة ، وينشدون :

إذا دببتَ على المنساةِ مـنْ كبـرٍ فقدْ تباعدَ عنْكَ اللهوُ والغزلُ»[٣][٤]

وقال أبو علي : «قياس تخفيف الهمزة أن يجعلها بين بين ، إلَّا أنهم خفَّفوا همزتها على غير قياس»[٥] .

قوله : ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ؛ أي سقط ميتاً . ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ الآية . قال المفسرون : «تبيَّنت الإنس أن الجن ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ، قالوا : وكذا[٦] كان ابن عباس يقرأها ، بتبيَّنت الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب»[٧] .

= الناقة الموثقة الخلق التي يؤمن عثارها وزللها ، والإران : النشاط ، ونسأتها ؛ أي حملتها على السير في هذا الطريق ، واللاحب : البين ، والبرجد : كساء فيه خطوط وطرائق ، فشبَّه الطرائق بطرائق البرجد . انظر : شرح القصائد السبع الجاهليات ١٥١ .

(١) في (أ) : (تنسئ) .

(٢) لم أقف على القول منسوباً إلى الـمُبرِّد ، وانظر : تهذيب اللغة (نسأ) ١٣/ ٨٤ ، واللسان (نسأ) ١/ ١٦٩ .

(٣) البيت من البسيط ، ولم أقف على قائله ، وهو في اللسان (نسأ) ١/ ١٦٩ ، والصحاح (نسأ) ١/ ٦٧ ، وكذا هو في الدر المصون ٥/ ٣٤٦ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٥ من دون نسبة .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٤٥ .

(٥) الحجة ٦/ ١٢ .

(٦) في (ب) : (وكذلك) .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٧٤ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٤٢ ، وعلل القراءات ٢/ ٥٤٩ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨١ .

وأمَّا معنى قراءة العامة فقد ذكر [فيه][١] الفرَّاء وأبو إسحاق وجوهاً بعيدةً[٢] . والصحيح ما ذكر أبو عبيدة ، فقال : «تبيَّنت الجن للناس ؛ أي تبيَّن للناس أن الجن لا يعلمون الغيب ، ما غُيِّب عنهم لمَّا كانوا في نصبهم وهو ميت»[٣] . ويدل على صحة هذا المعنى قراءة يعقوب : (تُبِينت) ، بضم التاء وكسر الباء ؛ أي علم من حال الجن أنهم لا يعلمون الغيب . وأَن على[٤] قراءة العامة في محل الرفع على البدل من الجن ، هذا وجه قراءة العامة . ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أن الجن كانت تتوهم أنها تعلم الغيب ، فلمَّا ابتلوا بموت سليمان ولم يقفوا عليه حتى دلتهم الأرضة علمت أنها لا تعلم الغيب ، وعلى هذا الوجه أن في موضع نصب ، وتبيَّنت بمعنى علمت . وعلى الوجه الأول معناه : ظهرت وانكشفت[٥] . وذكر ابن قتيبة الوجهين معاً[٦] .

قال أبو إسحاق : «المعنى : أنهم لو كانوا يعلمون ما غاب عنهم ، ما عملوا مسخرين لسليمان وهو ميت ، وهم يظنون أنه حي يقف على عملهم»[٧] .

قال مقاتل : «العذاب المهين : الشقاء والنصب في العمل»[٨] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) انظر هذه الوجوه في : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٥٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٢٤٧ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٤٦ .

(٤) في (ب) : (وأن في) .

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٦ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٢ ، والتبيان ٢/ ٢٧٧ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٥٥ .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٧ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

١٥. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: ذكر الكلام والقراءة في سبأ في سورة النمل[١]. وذكر المفسرون هاهنا ما روي عن فروة بن مسيك[٢] أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرنا عن سبأ ما هو، رجل أم امرأة أم أرض؟ فقال: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل وُلِد له عشرة من العرب، فتيامن ستة وتشام أربعة؛ فأمَّا الذين تشاموا فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأمَّا الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومدلج وحمير وأنمار». فقال رجل: ما أنمار يا رسول الله؟ قال: «الذين منهم خثعم وبجيلة»[٣].

وقال مقاتل: «هو رجل من يشجب بن يعرب بن قحطان، يقال: سبأ بن يشجب، والمراد بسبأ هاهنا: القبيلة»[٤].

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]. قال: «قُرِئ: (من سبأ) بالإجراء والتنوين، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو غير مجرى». قال الفرَّاء: «مَن أجراه فلأنه في ما ذكروا رجل».

(٢) فروة بن مسيك (قيل: مسيكة) بن الحرث بن سلمة المرادي القطيعي، أبو عمر، له صحبة، وفد على النبي ﷺ سنة عشر من الهجرة، فأسلم، فبعثه على مراد وزبيد ومذحج، وقد روى عن النبي ﷺ، وروى عنه الشعبي وأبو سبرة النخعي وغيرهما. انظر: الاستيعاب ٣/ ١٩٤، والإصابة ٣/ ٢٠٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٧٦، وتفسير الماوردي ٤/ ٢٠٣، ومجمع البيان ٨/ ٦٠٤. وأخرجه أحمد في مسنده ١/ ٣١٦ من حديث ابن عباس، إلا أنه قال: «سأل رجل النبي ﷺ....»، والترمذي في سننه، كتاب: التفسير (سورة سبأ) ٥/ ٣٩، رقم الحديث ٣٢٧٥، وقال: «هذا حديث غريب حسن»، والحاكم في المستدرك، تفسير سورة سبأ ٢/ ٤٢٤، وصحَّحه الذهبي، ووافقه عليه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٩٨ أ.

قوله : (في مساكنهم) ، وقُرِئ : (مسكنهم) على الواحد ، بفتح الكاف وبكسرة[١] .

قال أبو علي : «الوجه الجمع ؛ ليكون اللفظ موافقاً للمعنى ؛ لأن لكل[٢] ساكن مسكناً[٣] ، ومَن قال : مسكنهم ، أي يكون جعل المسكن مصدراً وحذف المضاف ، والتقدير : في مواضع سكناهم[٤] ؛ فلمَّا جعل المسكن كالسكنى أفرد كما يفرد المصادر ، وهذا أشبه من أن يحمله على نحو : كلوا في بعض بطنكم ، وجلد الجواميس ، وعلى هذا قوله : ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر :٥٥] ؛ أي مواضع قعود ، ألا ترى أن لكل واحد من المتقين موضع قعود ، وهذا التأويل أشبه من أن يحمله على الآخر الذي لا يكاد يجيء إلَّا في شعر ، وأمَّا كسر الكاف ؛ فاسم المكان والمصدر من هذا الجنس الذي هو فعل يفعل مفتوحاً ، مثل : المحشر ونحوه ، وقد يشذ عن القياس المطرد ، هكذا وكالمسجد ، وسيبويه يحملها على أنه اسم البيت وليس المكان ، من فعل يفعل ، وكذلك المطلع ، والقياس : الفتح»[٥] .

وقال أبو الحسن : «المسكن بكسر الكاف لغة فاشية ، وهي لغة الناس اليوم ، والفتح لغة أهل الحجاز ، وهي اليوم قليلة»[٦] .

وقال الفرَّاء : «هي لغة يمانية فصيحة»[٧] .

---

(١) انظر : النشر ٢/ ٣٥٠ ، وحجة القراءات ٥٨٥ .
(٢) في (ب) : (كل) ، وهو خطأ .
(٣) في (ب) : (مسكن) .
(٤) في (ب) : (مسكنهم) .
(٥) الحجة ٦/ ١٢ـ١٤ .
(٦) انظر : مجمع البيان ٨/ ٦٠٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٣ .
(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٥٧ .

قال المفسرون : «وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن[١] ، يدل عليه قول النابغة :

منْ سبأَ الحاضرينَ مأربَ إذْ يبنونَ منْ دونِ سيلهِ العَرِما» .[٢]

قوله : ﴿ءَايَةٌ﴾ ؛ أي علامة تدلهم على قدرة الله ، وأن المنعم عليهم هو الله ، ثم ذكر تلك الآية ، فقال : ﴿جَنَّتَانِ﴾ . قال الفرَّاء : «جنتان مرفوعتان ؛ لأنهما تفسير للآية»[٣] . وذكر الزَّجَّاج وجهاً آخرَ ، فقال : «كأنه لمَّا قيل : آية ، قيل : الآية جنتان»[٤] ، وعلى هذا ارتفع بخبر الابتداء المحذوف .

قوله تعالى : ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ ؛ أي يمنة ويسرة . قال مقاتل : «عن يمين الوادي وعن شماله»[٥] .

وقال الآخرون : «عن يمين مَن أتاهما وشماله»[٦] .

وقال الفرَّاء : «أراد عن أيمانهم وشمائلهم»[٧] . والمعنى أن الجنتين أحاطت بهم وبمساكنهم يمنة ويسرة .

قوله : ﴿كُلُوا۟﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى : قيل لهم ذلك»[٨] .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٢٣٨ .

(٢) البيت من المنسرح ، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ١٣٤ ، والكتاب ٣/ ٢٥٣ ، وجمهرة اللغة ٧٧٣ ، وسمط اللآلئ ١٨ ، واللسان (عرم) ١/ ٣٩٦ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٥٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ أ .

(٦) انظر : بحر العلوم ٣/ ٧٠ ، ومجمع العلوم ٨/ ٦٠٤ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٤٨ .

(٧) معاني القرآن ٣/ ٣٥٨ .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٨ .

وقوله : ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ : يعني ثمار الجنتين . قال السُّدِّي وأهل التفسير : «كانت المرأة تخرج ، فتحمل مكتلاً على رأسها وتمر في البستان فتملأ مكتلها من ألوان الفاكهة ، من غير أن تمس شيئاً بيدها»[١] .

قوله : ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ ؛ أي على ما رزقكم من النعمة . والمعنى : اعملوا بطاعته إذ أنعم عليكم بما أنعم ، وهاهنا تم الكلام .

ثم ابتدأ فقال : ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى : هذه بلدة طيبة»[٢] .

قال مقاتل : «أرض سبأ بلدة طيبة ؛ لأنها أخرجت ثمارها»[٣] ، فعلى هذا طيبها : كثرة ثمارها ، وقال الفرَّاء : «ليست بسبخة»[٤] .

وقال ابن زيد : «ليس فيها شيء مؤذٍ ، من بعوضة أو ذباب» .

قال : «ولم يكن يرى في بلدهم بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ، ويمر الغريب في بلدهم وفي ثيابه القمل فتموت كلها ، وعلى هذا طيبها : طيب هوائها»[٥] .

قوله : ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ ؛ أي والله رب غفور . قال مقاتل : «وربكم إن شكرتم في ما رزقكم رب غفور للذنوب»[٦] .

---

(١) أورده المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٤٩٠ عن السُّدِّي ، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٦٥ عنه كذلك ، وتفسير الطبري ٢٢/ ٧٧ عن قتادة ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٠٤ ، ولم ينسبه .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٨ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ أ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٥٨ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣١٦٥ عن ابن زيد ، وذكره المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٤٩٠ عنه كذلك .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

١٦. قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾. قال مقاتل: «عن الحق»[١].

وقال ابن عباس: «يريد فكفروا وكذبوا أنبياءهم»[٢].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾. قال المفسرون: «كان الماء يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية اليمن، فردموا ردماً بين جبلين وحبسوا الماء، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، وكان يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلمَّا كذَّبوا رسلهم بعث الله جرذاً نقب ذلك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنتهم ففرَّقها، ودفن السيل بيوتهم[٣]، فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾».

واختلفوا في العرم، ما هو؟ فأكثر المفسرين على أن العرم: السكر[٤]، والمسناة، وهي التي تحبس الماء[٥].

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٧٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٥، ومجمع البيان ٨/ ٦٠٥.

(٤) قال في اللسان ٤/ ٣٧٥: «سكر النهر يسكره سكراً، سد فاه، وكل شق سد فقد سكر، والسكر ما سد به، والسكر: أيضاً المسناة». اهـ. المسناة بلغة أهل اليمن.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٧٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٥، وزاد المسير ٦/ ٤٤٥، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٠٧.

قال السُّدِّي وأبو ميسرة : «أهل اليمن يسمون المسناة العرم»[١] ، وهو اختيار الفرَّاء[٢] ، وابن قتيبة[٣] ، والمُبرِّد ، قال : «العرم جمع عرمة ، وهي الحاجز بين الشيئين ، يسمى السكر»[٤] ، واحتجوا بقول الجعدي[٥] :

إذْ يبنونَ دونَ سيلهِ العَرِما

وقال مقاتل : «العرم اسم الوادي»[٦] .

وقال ابن الأعرابي : «العرم السيل الذي لا يطاق»[٧] ، وعلى هذا دل كلام ابن عباس ، قال : « [يريد][٨] لا يمر بشيء إلَّا غرَّقه»[٩] ، وقال مقاتل : «العرم اسم الوادي»[١٠] .

وحكى أبو إسحاق في العرم قولين آخرين ؛ أحدهما : أن العرم اسم الجرذ الذي بنوا[١١] للسكر عليهم ، وهو الذي يقال له : الخلد ، وذكر ابن الأعرابي أن

---

(١) ورد في تفسير الطبري ٢٢/ ٧٩ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٣ ، ولم أقف على مَن نسبه إلى السُّدِّي .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٥٨ .

(٣) تفسير غريب القرآن ٣٥٥ .

(٤) الكامل ٣/ ١٠٣٣ .

(٥) هو النابغة الجعدي ، وقد سبق التعريف به ، وتخريج البيت كذلك .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (عرم) ٢/ ٣٩٠ .

(٨) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٩) ذكر المفسرون تفسير ابن عباس للعرم بأنه الشديد . انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٨٠ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٤ ، وزاد المسير ٦/ ٤٤٥ .

(١٠) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

(١١) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (الجرذ الذي ثقب السكر عليهم) . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٨ .

العرم من أسماء الفأر[١] . الثاني : أن العرم هو المطر الشديد[٢] . وأصل هذا كله من العرامة ، وهي الشدة ، ومثله : العرام ، ورجل عارم : شديد لا يطاق[٣] .

قوله تعالى : ﴿ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد اللتين كان فيهما الفواكه والثمار» . ﴿ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الأراك» ، وهو قول مجاهد وقتادة ومقاتل والسُّدِّي ، قالوا : «الخمط : الأراك»[٤] . قال قتادة : «وأكله البرير»[٥] .

وقال أبو عبيدة : «الأكل الجني ، والخمط : كل شجرة [ثمرة][٦] ذات شوك»[٧] ، ونحو هذا قال ابن قتيبة ؛ فإن الأكثرين على أن الخمط اسم شجرة[٨] . وإذا كان كذلك ، فالأحسن قراءة مَن لم ينون الأكل وأضافه ؛ وذلك أن الأكل إذا كان الجناء ، فإن جنا[٩] كل شجرة منه ، والتنوين في هذا ليس في حسن الإضافة ؛ وذلك لأن[١٠] الخمط إنما هو اسم شجرة وليس بوصف للأكل ، وإذا[١١] لم يكن

(١) انظر : تهذيب اللغة ٢/ ٣٩١ .
(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٨ .
(٣) انظر : تهذيب اللغة ٢/ ٣٩٠ ، واللسان ٢/ ٣٩٥ .
(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٨١ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٦ ، وزاد المسير ٦/ ٤٤٦ .
(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٨١ ، وتفسير هود بن محكم ٣/ ٣٩٤ ، وزاد المسير ٦/ ٤٤٦ . البرير : ثمر الأراك . انظر : اللسان .
(٦) ما بين المعقوفين لعله زيادة من النساخ ؛ إذ ليس من كلام أبي عبيدة .
(٧) مجاز القرآن ٢/ ١٤٧ .
(٨) تفسير غريب القرآن ٣٥٦ .
(٩) في (ب) : (الجنا) .
(١٠) في (ب) : (أن) .
(١١) في (ب) : (وإذا كان) ، زيادة كان ، وهو خطأ .

وصفاً ، لم يجرِ على ما قبله كما يجري على الموصوف ، والتبدل ليس بالسهل أيضاً ؛ لأنه ليس هو ولا بعضه ؛ لأن الجنا من الشجرة ، وليس الشجرة من الجنا[١] .

قال أبو الحسن : «في كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا ، مثل : دار آجر ، وثوب خز» .

قال : و«﴿ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾ بالتنوين ، ليس بالجيد في العربية»[٢] . واختار أبو عبيد التنوين ، قال : «لأن الأكل هو الخمط في التفسير ، فالنعت أوْلى به من الإضافة» ، هذا قول أبي عبيد[٣] . والمفسرون على خلاف ما قال ؛ فإنهم جعلوا الخمط الشجر لا الأكل[٤] ، وقد قال ابن الأعرابي : «الخمط ثمر شجر يقال له : فوه الضبع ، على صورة الخشخاش ، ينفرك ، ولا ينتفع به»[٥] .

قال أبو إسحاق : «يقال لكل نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله : خمط»[٦] ، ونحو هذا قال المُبرِّد .

ومنه قيل للبن إذا أحمض : خمط[٧] . فهؤلاء جعلوا الخمط اسماً للمأكول ، فيصح على هذا التنوين في الأكل .

---

(١) انظر : علل القراءات ٢/ ٥٥١ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٠٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٦ .

(٢) انظر : مجمع البيان ٨/ ٦٠٣ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٧ .

(٣) لم أقف عليه ، وقد ذكره النحاس في إعراب القرآن ٦٦٤ ، وقد اختاره المُبرِّد .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٨١ ، وتفسير هود بن محكم ٣/ ٣٩٤ ، وبحر العلوم ٣/ ٧٠ ، وزاد المسير ٦/ ٤٤٦ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ٧/ ٢٦٠ ، واللسان ٧/ ٢٩٦ ، وروح المعاني ٢٢/ ١٢٧ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٩ .

(٧) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٦٤ .

قولـه : ﴿وَأَثْلٍ﴾ . قال مقاتل : «يعني شـجرة تشـبه الطـرف ، يتخذ منه الأقداح»[١] ،

وقال الفرَّاء : «الأثل شبه بالطرف ، إلَّا أنه أعظم منه طولاً»[٢] .

قـال الأزهـري : «هو يشـبه الطـرف إلَّا أنـه أكرم منـه ، تُسـوَّى منه الأقداح الصفر الجياد ، ومنه اتُّخذ منبر النبي ﷺ . وللأثـل أصول غليظة يُسوَّى منها الأبواب وغيرها ، وورقه عبل كورق الطرف»[٣] .

قال ابن الأعرابي : «والأثيل منبت الأراك»[٤] .

قولـه : ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ . قـال الأزهري : «السـدر من الشـجر سدران : أحدهما : سـدر بري لا ينتفع بثمره ، ولا يصلح ورقه للغسول ، وربما خمط للراعية ، وله ثمر عفص لا يؤكل ، والعرب تسـميه الضال . والجنس الثاني من السـدر ينبت على الماء ، وثمره النبق ، وورقه غسول ، يشبه شجر العناب إلَّا أن ثمره أصفر مُرٌّ يتفكه به»[٥] .

وقال الفرَّاء : «ذكروا أنه الثمر»[٦] ، وقال مقاتل : «ثمرة السدر النبق»[٧] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .
(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٥٩ .
(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٥/ ١٣٢ .
(٤) انظر قول ابن الأعرابي في : تهذيب اللغة ١٥/ ١٣١ .
(٥) انظر : تهذيب اللغة ١٢/ ٣٥٣ .
(٦) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (السمر ، واحدته سمرة) . انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٥٩ .
(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

وقال السُّـدِّي : «هذا السـدر قليل ، يعني : أن الخمـط والأثل كانا أكثر في جنتيهم من السدر»[١] . قال قتادة في الآية : «بينما شجر القوم من خير الشجر ؛ إذ صيَّره الله من شر الشجرة»[٢] .

١٧ . قولـه تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾[٣] إشـارة إلى مـا ذكر من التبديـل . قال أبو إسـحاق : «وموضع ذلك نصب . المعنـى : ﴿ جَزَيْنَٰهُم ﴾ ذلك ﴿ بِمَا كَفَرُواْ ﴾»[٤] .

﴿ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ ؛ بالنون قرأ حمزة والكسائي ؛ لقوله : ﴿ جَزَيْنَٰهُم ﴾ ، ولم يقولـوا جوزوا ، مَن قرأ : (يجازي) بالضم بنى الفعل للمفعول به ، والمجازي هو الله ، فمعنى القراءتين سواء . وفي تخصيص الكفور بالمجازاة أقوال : أحدها[٥] : أن المؤمـن يكفر عنه ذنوبه بطاعاته ، فلا يجازى بذنوبه التي تكفر ، قال الله تعالى : ﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [محمـد :٢] ، وقـال : ﴿ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النسـاء :٣١] ، والكافر يجازى بكل سوء يعمله ، وهذا قول أبي إسحاق وأبي علي[٦] .

---

(١) لم أقف عليه منسـوباً إلى السُّـدِّي ، وذكره المؤلِّف في الوسـيط ٣/ ٤٩١ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٠٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٤٦ من دون نسبة .

(٢) انظر : المراجع السابقة ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٧ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٩ .

(٥) في (ب) : (أحدهما) .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٩ ، والحجة ٦/ ١٧ ، ١٨ .

وقال الفرَّاء : «معنى جزيناه كافيناه[١] ، والسيئة للكافر بمثلها سيئة ، وأمَّا المؤمن فيجزى ولا يجازى ؛ لأنه يزاد ويتفضل عليه ، وقد يقال : جازيت بمعنى جزيت ، وأبين الكلام على ما وصفت»[٢] ، هذا كلام أهل المعاني[٣] .

وأمَّا المفسرون فقال مقاتل : «وهل نكافئ بعمله السيئ إلَّا الكفور لله في نعمه»[٤] ، وهذا كقول الفرَّاء .

وقال طاوس : «يجازى الكفور ولا يغفر له ، والمؤمن لا يناقش الحساب»[٥] .

وقال مجاهد : «وهل يجازى : يعاقب»[٦] ، وهذا معنىً وليس بتفسير ، وبيانه ما ذكر ابن عباس في رواية عطاء ، قال : «يريد لا أجازي بالعقاب إلَّا مَن كفر ربوبيتي وجحد نعمتي . فأضمر العقاب والمجازاة»[٧] . وأدغم الكسائي لام هل في نون نجازي ، وهو جائز ، حكاه سيبويه ، قال سيبويه : «البيان أحسن ؛ لأنه قد امتنع أن يدغم في النون شيء سوى اللام ، فكأنهم يستوحشون من الإدغام فيها»[٨] .

١٨ . قوله : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ . قال أبو إسحاق : «هذا عطف على قوله : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾[٩] الآية . يعني : وكان من قصتهم أنَّا ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ ؛

---

(١) في (ب) : (جزيناهم افيناهم) .
(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٥٩ .
(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٠٩ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٥٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٩ .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .
(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٠٩ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٨ ، وتفسير ابن كثير ٥/ ٥٤٣ .
(٦) تفسير مجاهد ٥٢٥ .
(٧) لم أقف عليه .
(٨) الحجة ٦/ ١٨ .
(٩) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٠ .

أي بين سبأ ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾» . قال المفسرون : «قرى الشام والأرض المقدسة : الأردن ، وفلسطين»[١] . قال مقاتل : «باركنا فيها بالشجر والماء»[٢] . قوله : ﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾ . قال أبو إسحاق : «كان بين سبأ والشام قرى متصلة بعضها ببعض ، يبيتون بقرية ، ويقيلون بقرية ، لا يحلون عقدة حتى يرجعوا إلى أهليهم[٣] ، [ساعون من حيث نزلوا ما يأكلون][٤] ، لا يحتاجون من وادٍ شيئاً إلى زاد»[٥] . وحقيقة معنى قوله ظاهرة أن الثانية تظهر من الأولى لقربها منها ، كما قال الحسن : «كان أحدهم يغدو فيقيل في قرية فيروح فيأوي إلى قرية ، فإذا خرج من إحداها رأى الأخرى فظهرت»[٦] . [أي][٧] .

وقال صاحب النظم : «ليس من قرية إلَّا وهي ظاهرة . والمعنى أنها قرى متقاربة تتوالى ، فإذا كان الرجل في قرية منها كانت التي تليها ظاهرة لعينه ينظر إليها» .

قوله تعالى : ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ . قال مقاتل : «للمبيت والمقيل من قرية إلى قرية»[٨] . قال الفرَّاء : «جعل ما بين القرية إلى

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٨٣ ، وتفسير هود بن محكم ٣/ ٣٩٥ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٤٤ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٩ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

(٣) في (ب) : (أهلهم) .

(٤) ما بين المعقوفين يظهر ـ والله أعلم ـ أنه كلام زائد من النساخ ؛ إذ لا معنى له .

(٥) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب كما هو في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٤ : (لا يحتاجون من وادي سبأ إلى الشام إلى زاد) .

(٦) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٤٤ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٩ ، وزاد المسير ٦/ ٤٤٨ .

(٧) هكذا في النسخ ، ويظهر أنها زائدة من النساخ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

القرية نصف[١] يوم ، فذلك تقدير السير»[٢] . قال أبو إسحاق : «جعلنا سيرهم بمقدار ، حيث أرادوا أن يقيموا حلُّوا بقرية»[٣] .

وقال ابن قتيبة : «جعلنا السير بين القرية إلى القرية مقداراً واحداً»[٤] .

وقوله : ﴿سِيرُواْ﴾ ؛ أي وقلنا لهم سيروا . ﴿فِيهَا﴾ : في تلك القرى .

﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ : متى شئتم السير ؛ ليلاً ، أو نهاراً .

﴿ءَامِنِينَ﴾ من الجوع والعطش والسباع والتعب ، ومن كل خوف ، قاله ابن عباس ومقاتل[٥] .

١٩. قال المفسرون : «ثم إنهم سئموا الراحة وبطروا النعمة ، وكرهوا ما كانوا فيه من الخصب»[٦] والسعة في كفاية القدح في المعيشة كقوم موسى حين قالوا : ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ إلى قوله : ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة :٦١] ، وهؤلاء من جملة مَن دخل في قوله : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص :٥٨] ، فلم يشكروا ربهم ، وسألوا أن تكون القرى والمنازل بعضها أبعد من بعض : ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ؛ أي اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز ؛ لنركب إليها الرواحل ، ونتزود الأزواد . وقُرِئ : ﴿بَٰعِدْ﴾ ، وهو مما فيه وفعِّل بمعنى واحد كقولك : ضاعِف وضعَّف ،

---

(١) في (ب) : (لضعف) ، وهو خطأ .
(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٥٩ .
(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٠ .
(٤) تفسير غريب القرآن ٣٥٦ .
(٥) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٠ ، وتفسير مقاتل ٩٨ ب .
(٦) في (ب) : (الحطب) ، وهو خطأ .

وكذلك خلافه[١] قـارِب وقرِّب . ومعنى قراءة مَـن قرأ على الخبر : ﴿رَبَّنَا بَٰعِدَ﴾ أنهم استبعدوا سفرهم على قرية بطراً وأشراً ، وقراءة العامة معناها الدعاء وسؤال الله أن يبعد بين أسفارهم[٢] .

وقوله : ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ . قال ابن عباس : «بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم»[٣] .

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ : يريد لعن بُعدهم ، يتحدثون بأمرهم وشأنهم .

﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ : مزقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق ؛ وذلك أن الله تعالى لـمَّا غرَّق مكانهم وأذهب جنتيهم تبددوا في البلاد ، فصارت العرب تتمثل بهم في الفرقة ، فيقولوا : تفرَّقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ[٤] .

قال الشاعر :

منْ صادرٍ أوْ واردٍ أيدي سبأ[٥]

وقال كثير :

أيادي سبأ يا عزُّ ما كنتُ بعدَكمْ فلمْ يَحْلَ بالعينينِ بعـدكَ منظرُ[٦]

---

(١) في (ب) : (خلاف) .

(٢) الحجة ٦/ ١٩ .

(٣) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٠ .

(٤) هذا مثل للعرب ، يضرب للقوم إذا تفرقوا . انظر : مجمع الأمثال ٢/ ٤ .

(٥) شطر بيت لم أقف على تمامه ولا قائله ، وهو في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥١ ، واللسان ١/ ٩٤ من دون نسبة .

(٦) البيت من الطويل ، وهو لكُثيِّر عزة في ديوانه ٣٢٨ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٦٨٧ ، واللسان ١/ ٩٤ .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ : يعني في ما فعل بسبأ . ﴿لَآيَٰتٍ﴾ : لعبراً ودلالاتٍ . ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ . قال ابن عباس : «عن معاصي الله ، (شكور) لأنعم الله»[١] .

وقال مقاتل : «يعني المؤمن من هذه الأمة صبور على البلاء إذا ابتلي ، شاكر لله على نعمه»[٢] .

٢٠. قوله : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ ، وقُرِئ : (صَدَّقَ) بالتشديد والتخفيف .

قال أبو إسحاق : «صدقه في ظنه أنه ظن بهم أنه إذا أغواهم اتبعوه فوجدهم كذلك ، فمَن شدَّد نصب الظن ؛ لأنه مفعول به ، ومَن خفَّف نصب الظن ، على معنى صدق ظناً ظنه ، وصدق في ظنه»[٣] . هذا كلامه . وشرحه أبو علي ، فقال : «معنى التخفيف أنه صدق ظنه ؛ أي الذي ظن بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم ، وذلك نحو قوله : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف :١٦] ، و﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر :٣٩] ، وهذا ظنه ؛ ذلك عن يقين ، لأنه لم يقل بظنه[٤] على هذا ينتصب انتصاب المفعول به ، ويجوز تعديته إلى المفعول به كما قال :

فإنْ تكُ ظني صادقي فهوَ صادقي[٥]

---

(١) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وقد أورده المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٤٩٣ ، والماوردي في تفسيره ٤/ ٤٤٦ ، والقرطبي في تفسيره ١٤/ ٢٩١ من دون نسبة .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥١ .

(٤) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (فظنه) ، كما في الحجة ٦/ ٢١ .

(٥) شطر بيت من الطويل ، لم أقف على قائله ، وقد ورد في إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٢/ ١٩٧ ، وكذا في الدر المصون ٥/ ٤٤٢ ، وجاء البيت بتمامه في مجمع البيان ٨/ ٦٠٧ برواية :

إنْ يكُ ظني صادقاً وهوُ صادقي بشملةٍ يحبسهمْ بها محبساً وعرا

وقد نسبه محققه إلى مكبرة بنت بردام شملة ، تقول : «إن يك ظني بشملة صادقاً يحبسهم ؛ أي القوم الذين قتلوا أباه بتلك المعركة محبساً صعباً يدركه فيه ثأر أبيه» .

ويجوز أن ينتصب انتصاب الظرف على تقدير : صدق عليهم الظن ، على أنه مفعول به ، وعدِّي صدق إليه كما قال :

فإنْ لـمْ أصـدِّقْ ظنَّـكَ بتيقـنٍ فلاسقتِ الأوصالَ منِّي الرواعدُ»[١] .

واختلـف المفسرون في هذه الآية ؛ فمذهب ابـن عباس في رواية عطاء أزال كنايـة في قوله : ﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾ عن أهل سـبأ[٢] ، وقال في قوله : ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ : «يريد قليلاً من الذين صدقوا الأنبياء وآمنوا بالله ، وعلى هذا الاستثناء من سبأ ، وهم مَن آمن منهم» . ومذهب مجاهد[٣] أن الكناية عن الناس كلهم ، قال : «صدق ظنه على الناس كلهم إلَّا مَن أطاع الله» ، وهو ظاهر مذهب المفسرين . قـال مقاتل : «يعني عباده المخلصـين لم يتبعوهم في الشرك[٤] ، وهم الذين قال الله : ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر :٤٢]» .

٢١. وقولـه : ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى ما امتحنا بإبليس إلَّا لنعلم مَن يؤمن بالآخرة إلَّا لنعلم ذلـك علم وقوعه منهـم ، وهو الذي يجـازون عليه»[٥] . وشرح ابن قتيبة الآيتين شرحاً شافياً ، فقال : «إن إبليس لـمَّـا سأل الله النظرة فأنظره قال : ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ﴾ الآية ، وقال : ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[٦] ، وليس هو في وقت هذه المقالة

(١) بيت من الطويل ، لم أقف على قائله .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٨٧ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٠ .

(٣) انظر : مجمع البيان ٨/ ٦٠٨ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٢ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٢ .

(٦) قـال تعـالى : ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النسـاء :١١٧ـ١١٩] . وقال : ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر :٣٩] .

مستيقناً أن ما قرره فيهم يتم ، وإنما قاله ظاناً ، فلـمَّـــا اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم ، ثم قال : وما كان تسليطنا إياه[١] إلَّا لنعلم المؤمنين من الشاكين ، يعني نعلمهم موجودين ظاهرين ، فيحق القول ويقع الجزاء ، فأراد جل وعز : ما سلَّطناه عليهم إلَّا لنعلم إيمان المؤمن ظاهراً ، وكفر الكافر ظاهراً موجوداً كقوله : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ [آل عمران :١٤٢]»[٢] ، وقد مرَّ الـكلام فيه[٣] ، وهذا معنى قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وجميع المفسرين في هاتين الآيتين[٤] . قوله : ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ . قـال مقاتـل : «كل شيء مـن الإيمان والشك رقيب»[٥] .

٢٢. قوله : ﴿قُلِ﴾ ؛ أي لكفار مكة . ﴿ٱدْعُواْ﴾ : اسـتنصروا ، واستعينوا كقوله : ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقـرة :٢٣] ، وقوله : ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ [الأعراف :١٩٧] .

وقولـه : ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ ؛ أي الذين زعمتم أنهـم آلهة وأنهم ينصرونكم ، فأضمـر مفعول الزعم . قال المفسرون[٦] : «يعني الـشركاء والملائكة وجميع مَن عبدوهم من دون الله» .

---

(١) في (ب) : (إلَّا إياه) ، وهو خطأ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٣١١ ، ٣١٢ .

(٣) عند تفسير الآية رقم : ١٤٢ من سورة آل عمران .

(٤) انظر : تفسـير الطبري ٢٢/ ٨٧ ، وتفسـير الماوردي ٤/ ٤٤٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٠٨ ، وزاد المسير ٦/ ٤٤٩ ، وتفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٦) انظر : تفسـير الطبري ٢٢/ ٨٨ ، وبحر العلوم ٣/ ٧٢ ، وتفسـير القرطبي ١٤/ ٢٩٥ ، وزاد المسير ٦/ ٤٥١ .

قال مقاتل : «يقول : ادعوهم فليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع»[١] . ثم وصفهم وأخبر عنهم ، فقال : ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ أي من خير وشر ونفع وضر . ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ : يريد ما شاركونا في شيء من خلقهما . ﴿وَمَا لَهُ﴾ : وما لله . ﴿مِنْهُم﴾ : من الشركاء والمعبودين . ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ : من معين على شيء . قال مقاتل : «ثم ذكر الملائكة الذين يرجون شفاعتهم» .

٢٣. وقوله : ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ : يعني شفاعة الملائكة . ﴿عِندَهُ﴾ : عند الله[٢] . ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ : قُرِئ : بضم الهمزة وفتحها ؛ فمَن فتح بنى الفعل للفاعل ، وأسنده إلى ضمير اسم الله ؛ لقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ ، ومَن ضم الهمزة بنى الفعل للمفعول وهو يريد هذا المعنى[٣] . والآذن في القراءتين هو الله تعالى ، كقوله : ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ، والمجازي في الوجهين هو الله تعالى . قال الفرَّاء : «أي لا تنفع شفاعة ملك مقرب ولا نبي حتى يؤذن له في الشفاعة» ، ويقال : «حتى يؤذن له فيمَن يشفع ، فيكون (مَن) للمشفوع له»[٤] .

وذكر أبو إسحاق أيضاً الوجهين جميعاً ، فقال : «ويجوز أن يكون [مَن][٥] في قوله : ﴿لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ للشافعين ؛ لأنه كنَّى عنهم بقوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ ، والذين فزع عن قلوبهم هاهنا الملائكة» . هذا كلامه . وتقدير

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٣) انظر : علل القراءات ٢/ ٥٥٣ ، وحجة القراءات ٥٨٩ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٦١ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

الوجهين : إلَّا لـمَن أذن له في أن يـشفع إذا كان (مَن) للشافع ، وإن جعلت (مَن) للمشفوع فالتقدير : إلَّا لـمَن أذن له في أن يشفع له[١] .

وكلام المفسرين في هذه الآية يدل على أن (مَن) للمشفوع له . قال ابن عباس : «يريد لا تشفع الملائكة إلَّا لـمَن وحَّد الله[٢] كقوله في الأنبياء ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء :٢٨]» ، وقال مقاتل : «لا تنفع شفاعة الملائكة عنده لأحد إلَّا لـمَن أذن له أن يشفعوا له من أهل التوحيد» ، قال : «ثم أخبر عن خوف الملائكة[٣] ، فقال : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾» ، وقُرِئ : (فَزَع) بفتح الفاء والزاي .

قال أبو عبيدة : «﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ : نُفِّس عنها»[٤] .

وقال الفرَّاء وأبو إسحاق : «فزع : كشف الفزع عن قلوبهم ، وفزع : كشف الله الفزع عن قلوبهم»[٥] . ومعنى القراءتين سواء كما ذكرنا في أَذن وأَذن[٦] .

والتفزيع يريد المعنيين : أحدهما إزالة التفزيع بالتمريض[٧] ، وقد جاء مثل هذا في أفعل ، قالوا : أشكاه[٨] إذا أزال عنه ما يشكوه ، ويقال : فزعه وأفزعه إذا روَّعه . قال ابن عباس : «يريد سوَّى عن قلوبهم»[٩] ، وقال قتادة والكلبي : «جُلِّي

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٢ .

(٢) انظر : الوسيط ٣/ ٢٩٤ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٤٧ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٦١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٥٣ .

(٦) الآية رقم : ٢٧ من سورة الحج . قال : «معنى التأذين : النداء والتصويت للإعلام ، ثم أحال على قوله : ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ ، وقوله : ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾» .

(٧) في الوسيط . والتفزيع : إزالة الفزع كالتمريض ، فلعل ما أثبت هنا خطأ ، والصواب ما بيَّنته من الوسيط .

(٨) في (ب) : (مشكاه) .

(٩) ذكر بعض المفسرين قول ابن عباس : «جلي عن قلوبهم» . انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٨٤ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٥ .

عن قلوبهم»[١] ، وقال مقاتل : «انجلى الفـزع من قلوبهم»[٢] ، وهو معنىً وليس بتفسـير . وأمَّا معنى الآية فروي عن أبي هريـرة أن النبي ﷺ قال : «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فـ ﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ الآية»[٣] .

وروي عـن أنس بن سـمعان[٤] أنه قـال : «إذا تكلـم الله بالوحي أخذت السـماوات منه رعدة شـديدة خوفاً من الله ، فإذا سـمع ذلك أهل السـماوات صعقوا[٥] وخروا لله سـجداً ، فيكون أول مَن يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله بما أراد من وحيه ، فيمضي به جبريل على الملائكة سماءً سماءً ، كلما مرَّ بأهل سماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : الحق»[٦] .

---

(١) لم أقف عليه منسوباً إليهما ، وقد نسبه الطبري ٢٢/ ٩٠ إلى ابن عباس .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسـير (سـورة سـبأ) ٤/ ١٨٠٤ ، رقم الحديث ٤٥٢٢ ، وتمامـه : «فإذا فـزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالـوا للذي قال : الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع» الحديث ، وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : التفسير (سورة سبأ) ٥/ ٤٠ ، رقم الحديث ٣٢٧٦ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» .

(٤) هكذا ورد في (أ) ، وفي (ب) : (أنس سـمعان) ، وهو خطأ ، والصواب : (النواس بن سمعان) ، فهو راوي هذا الأثر ، ولم أجد في ما عندي من مراجع راوياً لهذا الحديث بهذا الاسم .
النواس بن سـمعان بن خالد بن عمرو بن قرط العامري الـكلابي ، ويقال : الأنصاري ، له صحبة ، روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه جبير بن نفير الخضرمي وأبو إدريس الخولاني ، يقال إن أباه سـمعان وفد عـلى النبي ﷺ وأهدى إليه نعليه فقبلها ، وزوَّج أخته من النبي ﷺ ، ويقال إنه لـمَّـا دخل بها تعوذت منه فتركها ، وهي الكلابية ، والله أعلم . انظر : الاسـتيعاب ٣/ ٥٣٩ ، والإصابة ٣/ ٥٤٩ ، وأسد الغابة ٥/ ٤٥ .

(٥) في (ب) : (ضعفوا) .

(٦) أورده الثعلبي في تفسيره ٣/ ٢١٩ .

وروى الزهـري عن أبي إدريس[١] ، قـال : «إذا تكلم الله جلَّ ثناؤه وجدت السماوات ومَن فيهن رجفة ، حتى إذا ذهب ذلك عنها نادى بعضهم بعضاً : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، فذلك قوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾»[٢] .

وقال ابـن عباس : «إذا تكلم الله بالوحي ، يسـمع أهل السـماوات صوتاً كصوت الحديد على الصفا ، فيخرون سـجداً لذلك ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا . . . .»[٣] الآية ، ونحو هذا قال ابن مسعود[٤] .

وقال قتادة والكلبي : «لـمَّـا كانت الفترة التي بين عيسـى ومحمد -عليهما السلام- وبعث الله محمداً ، أنزل الله جبريل بالوحي ، فلـمَّـا نزل ظنت الملائكة أنه نزل بشيء من الساعة فصعقوا لذلك ، فجعل جبريل يمر بكل سماء ، ويكشف عنهم الفزع يرفعوا رؤوسهم[٥] ، وقال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، يعني الوحـي»[٦] ، ونحو هذا قال مقاتل[٧] سـواء ، وعلى هذا إنما يكون

---

(١) أبو إدريس عائذ الله بن عبدالله ، ويقال فيه : عيذ الله بن إدريس بن عائذ الخولاني ، تقدَّمت ترجمته .

(٢) لم أقف عليه عن أبي إدريس من طريق الزهري ، وقد أورد الثعلبي في تفسيره ٣/ ٢١٩ أ هذا الأثر من طريق الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبدالله .

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٩٧ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٤) الأثر المروي عن ابن مسـعود -رضي الله عنه- أخرجه أبو داود في سـننه ، كتاب : السُّنة ، باب : في القـرآن ٤/ ٢٣٥ ، رقم الحديث ٤٧٣٨ ، والطبري ٢٢/ ٩٠ ، وأورده السـيوطي في الدر ٦/ ٦٩٩ ، وزاد نسـبته إلى سـعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابـن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشـيخ في العظمة ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(٥) هكذا جاء الكلام في النسـخ ، وفيه اضطـراب ، والصواب : (فيرفعون رؤوسـهم ويقول بعضهم لبعض) . انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ١٩٧ .

(٦) ذكره النحاس في معاني القرآن ٥/ ٤١٧ ، وابن الجوزي في زاد المسـير ٦/ ٤٥٣ ، والقرطبي في تفسيره ١٤/ ٢٩٧ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

فزعهم من هول قيام الساعة ، وهو اختيار الفرَّاء ، والزَّجَّاج[١] . وعلى ما ذكرنا أولاً إنما فزعوا للوحي ، هذا مذهب المفسرين في هذه الآية .

ويبقى إشكال في النظم ، وهو أن قوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ كيف يليق بما تقدَّم من الكلام ، وأين الخبر عن فزعهم حتى يذكر زوال الفزع ؟ قال صاحب النظم : «لا يكاد يكون حتى إلَّا متصلة بخبر قبلها ، ولم يتقدَّم هاهنا في الظاهر شيء تكون هي معطوفة عليه فهي في الظاهر منقطعة مما قبلها ومبتدأة ، وهي في الباطن متصلة بمعنى متقدم مضمر ، ومعنى فزع عن قلوبهم قد جاء في التفسير أخرج منها الفزع ، فهذا دليل على أنه يصيبهم فزع شديد من شيء يحدث عليهم من أقدار الله عز وجل ، ولم يقل الله حتى إذا فزع عن قلوبهم إلَّا وهم يفزعون» . هذا كلامه . وشرح هذا أن حتى هاهنا منقطع في اللفظ عمَّا قبله ، وقد ذكرنا جواز هذا عند قوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يونس :١١٠] ، وهو في المعنى متصل بمضمر دلَّ عليه الظاهر ؛ وذلك أن فزع معناه : أخرج الفزع ، وإخراج الفزع يدل على حصوله وحدوثه ، فكأنه قد ذكر فزعهم من الوحي أو من هول قيام الساعة على ما ذكر المفسرون حتى إذا أزيل ذلك الفزع قالوا : ماذا قال ربكم ؟ ومعنى الآية : أن الله أعلمهم أن الملائكة الذين يعبدونهم بهذه الحال من الخوف والفزع ، فكيف يعبدون مَن هو بهذه الصفة ؟ أفلا يعبدون مَن تخافه الملائكة ؟ !

ومذهب مجاهد والحسن وابن زيد في هذه الآية أن الكناية في قوله : ﴿عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ للمشركين ، يقول : «حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم في الآخرة أقيمت الحجة عليهم ، وقالت الملائكة لهم : ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡ﴾ في الدنيا ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ فأقروا حين لا ينفعهم»[٢] ، وعلى هذا القول أيضاً وجه النظم ما ذكر .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٦١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٣ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٧ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ٩٢ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٧ .

وقوله : ﴿ٱلْحَقَّ﴾ . قال الزَّجَّاج وأبو علي : «التقدير : قالوا : قال الحق»[١] . ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ . قال مقاتل : «يعني الرفيع الذي فوق خلقه ، الكبير العظيم فلا شيء أعظم منه»[٢] .

٢٤. قوله : ﴿قُلْ﴾ ؛ أي لكفار مكة . ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ : تقدَّم تفسيره في سورة يونس[٣] . وهذا احتجاج عليهم بأن الله الذي يرزق هو المستحق للعبادة لا غيره مما لا يرزق ، وأخبر عنهم في سورة يونس أنهم يعتقدون بأن الرزاق هو الله ، وهو قوله : ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ . وهاهنا أمر النبي ﷺ بأن يقول : الرزاق هو الله ، هو قوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ . والمعنى : استفهم عن الرزاق ، ثم أخبر أني أنا الرزاق ؛ وذلك أنه إذا استفهم لم يمكنهم أن يثبتوا رازقاً غير الله ، فثبَّت الحجة عليهم بقوله ﷺ ؛ أي هو الله . وقال صاحب النظم : «هذا محمول على أنه لمَّا أمر بقوله : ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾ بعد الأمر قل لهم ذلك ، فقالوا له : فمَن يرزقنا ؟ فأجابهم الله بقوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ ، وتم الكلام ، ثم أمره بأن يخبرهم أنهم على الضلال بعبادة غير الله بقوله : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ الآية ، على تقدير : ثم قل : وإنَّا أو إياكم» .

روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية : «الألف صلة للكلام يريد ألف أو»[٤] ، وشرح صاحب النظم هذا ، فقال : «أو هاهنا بمنزلة واو النسق ، وتأويلهما مبتدآن مجموعان لهما جوابان مجموعان ، فيرد إلى كل واحد منهما ما يقتضي ، وهو أن يكون الهدى لقوله : ﴿وَإِنَّآ﴾ ، والضلال لقوله : ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ ،

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٣ .
(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .
(٣) آية : ٣١ .
(٤) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وقد ذكره المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٤٩٤ من دون نسبة .

قلنا في أشباهه مثل قوله : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص :٧٣] ؛ فابتغاء الفضل بالنهار ، والسكون بالليل ، ومنه قول امرئ القيس :

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً

لدى [ذكراها][1] العنابُ والحشفُ البالي»[2] .

وهذا الذي ذكره صاحب النظم هو معنى قول أبي عبيدة ، قال : «معناه إنَّا لعلى هدى ، وإنكم لفي ضلال مبين»[3] ، وهو معنى قول مقاتل : «نحن وأنتم أمر واحد أن أحد الفريقين لعلى هدى ، يعني النبي نفسه وأصحابه ، وإنكم لفي ضلال مبين ، يعني كفار مكة»[4] . وعلى هذا القول يجب أن يكون أو في قوله : ﴿أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ وقوله : ﴿أَوْ فِي ضَلَٰلٍ﴾ يعني واو النسق ، وهو مذهب المفسرين . قال الفرَّاء : «معنى «أو» معنى الواو عند المفسرين ، والعربية على غير ذلك ، لا تكون «أو» بمنزلة الواو كما تقول : خذ درهماً أو اثنين ، فله[5] أن يأخذ واحداً أو اثنين ، وليس له أن يأخذ الثلاثة ، وفي قول مَن لا يبصر العربية ويجعل «أو» بمنزلة الواو يجوز له أن يأخذ الثلاثة ؛ لأنه في قولهم بمنزلة : خذ درهماً واثنين .

والمعنى في ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ : إنَّا لضالون أو مهتدون ، وهو تعالى يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضال ، وأنت تقول في الكلام للرجل : والله إن أحدنا

---

(١) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (وكرها) .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ٣٨ ، والكامل ٢/ ٧٤٠ ، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٤٢ ، ٢/ ٥٩٥ ، ٨١٩ . يقول : كأن قلوب الطير رطباً : العناب ، ويابساً : الحشف البالي . انظر : شرح ديوان امرئ القيس ١٦٦ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٤٨ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ ب .

(٥) في (ب) : (قيله) .

لكاذب ، فكذبته كذباً غير مكشوف ، وهو في القرآن وكلام العرب كثير أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف ، كقولك لـمَن قال فلان وهو كاذب في ذلك قل : إن شاء الله ، أو قل : في ما أظن ، فتكذبه بأحسن من صريح التكذيب»[١] ، ونحو هذا قال الكسائي والأخفش والمُبرِّد ، قالوا : «ليس معنى أو هاهنا الشك ، وقد يتكلم بمثل هذا مَن لا يشك ، كقول القائل : أنا اختار كذا ، ويختار ابن[٢] كذا ، وأحدنا مخطئ ، وليس يشك في خطأ صاحبه ، وأنشدوا لأبي الأسود :

يقولُ الأرذلونَ بني[٣] قُشيرٍ ... طوالَ الدهرِ ما ننسى عليَّا
بنو عمِّ النبيِّ وأقربوهُ ... أحبُّ الناسِ كلِّهِمُ إليَّا
فإنْ يكُ حبُّهُمْ رُشْداً أُصِبْهُ ... ولسْتُ بِمُخْطِئٍ إنْ كانَ غَيَّا[٤]

فقاله عن غير شك ، وقد أيقن أنه ليس بغي ، ولكنه استظهار في الحجاج»[٥] .

وقال أبو إسحاق : «في التفسير : وأنا على هدى وإنكم إلى ضلال ، وهذا في اللغة غير جائز ، لكنه يؤول إلى هذا المعنى . والمعنى : إنَّا لعلى هدى أو في ضلال ، وهذا كما يقول القائل : إذا كانت الحال تدل على أن أحدنا صادق أو كاذب ، ويؤول معنى الآية إلى : إنَّا لـمَّا أقمنا من البرهان لعلى هدى ، وإنكم لفي ضلال مبين» .هذا كلامه[٦] ، وهو موافق لقول الفرَّاء[٧] . وتلخيص الآية أن أو ظاهرة

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٦٢ .
(٢) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (فلان) .
(٣) هكذا في (أ) ، وفي (ب) : (بين) ، وهو خطأ ، والصواب : (بنو) ؛ لأنه بدل .
(٤) الأبيات من الوافر لأبي الأسود الدؤلي ، وهي من ديوانه ١٧٦ ، ١٧٧ ، وانظرها : منسوبة إليه في مجاز القرآن ٢/ ١٤٨ ، والكامل ٣/ ٩٣٦ ، ومجمع البيان ٨/ ٦١٠ ، وروح المعاني ٢٢/ ١٤٠ .
(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٤٥ ، وذكر القول القرطبي في تفسيره ١٤/ ٢٩٩ ، ونسبه إلى المُبرِّد ، ولم أقف على قول الكسائي .
(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٣ .
(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٦٢ .

للشـــك وليس المعنى على ذلك ، والمفسرون راعوا حقيقة المعنى ، ولذلك جعلوا أو بمنزلة الواو .

٢٥. قوله تعـــالى : ﴿ قُل ﴾ ؛ أي لقومك . ﴿ لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا ﴾ . قال ابن عباس : «لا تؤاخذون بجرمنا ، ولا نسأل عن كفركم وتكذيبكم ، وهـــذا على التبري منهم ومن أعمالهم[١] كقوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون :٦]» ، وهذا مما نزل قبل السيف[٢] .

٢٦. ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ : يعني بعد البعث في الآخرة يوم القيامة . ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ ، ثم يقضى ويحكم بيننـــا بالعدل . ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ﴾ القاضي . ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما يقضى .

٢٧. قوله : ﴿ قُلْ ﴾ : للكفـــار . ﴿ أَرُونِيَ ﴾ : أعلموني . ﴿ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ﴾ ؛ أي ألحقتموهم بالله في العبـــادة معه شركاء ، وهو نصب على الحـــال ، وفي الآية محذوف به يتم المعـــاني[٣] بتقدير : هل يرزقون ويخلقون وينفعون ويضرون ؟ ثم قال : ﴿ كَلَّا ﴾ . [قال أبو إســـحاق :

(١) انظر : تفســـير ابن عباس بهامش المصحـــف ٤٣١ ، وذكر هذا المعنى أكثر المفسرين ، ولم ينســـبوه إلى ابن عباس .

(٢) وبهذا القول ـ وهو أن هذه الآية منســـوخة بآية الســـيف ـ قال بعض العلماء ، ومنهم : ابن القاســـم البذوري في قبضة البيان في ناســـخ ومنســـوخ القرآن ٢٠ ، وهبة الله بن ســـلامة المقري في الناســـخ والمنســـوخ من كتاب الله عـــز وجل ١٤٥ ، وابن البارزي في ناســـخ القرآن العزيز ومنســـوخه ٤٥ . ومن العلماء مَن لا يرى النســـخ في هذا الموضع ، وإنما فيه بيـــان أن كل أحد مؤاخذ بعمله ، فلا تظلم نفس شـــيئاً . وممن قال بعدم النسخ : مكي بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٨٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٥٥ . ولعل هذا هو الراجح ؛ لإمكانية الجمع بين الآيتين دون الحاجة إلى القول بالنسخ ؛ إذ لا تعارض بينهما .

(٣) هكذا في (ب) ، وفي (أ) : (المعالي) ، وهو تصحيف ؛ إذ الصواب : (المعنى) .

معنى كَلَّا][1] قالوا لـمَّـا قال لهم : ﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ هم[2] هذه الأصنام أو ما أشبه ذلك من الكلام ، فردَّ الله عليهم بقوله : ﴿كَلَّا﴾ .

قال أبو إسحاق : «معنى كَلَّا ردع وتنبيه . المعنى : ارتدعوا عن هذا القول ، وانتهوا عن ضلالكم»[3] ، وهذا يدل على أنهم أجابوا النبي ﷺ بما يوجب زجرهم وردعهم . قوله : ﴿بَلْ﴾ ؛ أي ليس الأمر على ما ذكرتم إلحاق الشركاء[4] به الذي يضر وينفع ويخلق ويرزق . ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه . ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمره .

٢٨. قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد لجميع الخلق»[5] ، وقال مقاتل : «يعني عامة»[6] ، وهو قول أبي عبيدة وابن قتيبة[7] ، وعلى هذا يجب أن يكون التقدير : إلَّا للناس كافة ، كقوله : ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ ، وقوله : ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ ، فيكون المعنى : وما أرسلناك إلَّا

(١) ما بين المعقوفين يظهر أنه زائد ؛ لأن كلام أبي إسحاق ذكر بعد سطر .
(٢) (هم) ساقط من (ب) .
(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٤ .
(٤) هكذا جاءت العبارة ، والظاهر أنها خطأ ؛ فقد جاءت العبارة في الوسيط : (أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من إلحاق الشركاء) . انظر : الوسيط ٣/ ٤٩٥ .
(٥) ورد في تفسير الماوردي ٤/ ٤٥٠ ، وذكره المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٤٩٥ .
(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ ب .
(٧) مجاز القرآن ٢/ ١٤٩ ، وتفسير غريب القرآن ٣٥٧ .

للناس كلها عامة ؛ أحمرهم ، وأسودهم[١] . وذكرنا معنى الكافة[٢] في ما تقدَّم .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : أرسلناك جامعاً للناس بالإنذار والإبلاغ»[٣] .

والكافة على هذا معناه : الجامع الذي يمنع أن يشذوا[٤] ، النبي ﷺ جامع للناس كلهم في الإنذار والتبشير [جامع][٥] مانع من أن يشذ واحد عن حكم رسالته .

والهاء في الكافة تكون للمبالغة ، ويجوز أن يكون الكافة مصدراً على فاعلة ، كالخاينة والكاذبة واللاعنة ، ويكون[٦] التقدير على حذف المضاف بمعنى : إلَّا ذا كافة للناس ؛ أي ذا منع لهم من أن يشذوا عن تبليغك . وهذا الوجه يقوِّي قول مَن ذهب في معنى الآية إلى أنه بعث ليكف الناس عمَّا هم عليه من الكفر . ولا يحتاج في هذا القول إلى تقدير التقديم والتأخير . وقوله : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . قال مقاتل : «يعني كفار مكة»[٧] .

---

(١) يزيد هذا القول ويدل عليه الحديث الذي يرويه جابر بن عبدالله ، أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧٠ ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، رقم الحديث ٥٢١ ، قال جابر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود» الحديث .

(٢) لعله عند قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة :٢٠٨] . قال : «وقوله (كافة) يجوز أن يكون معناه : ادخلوا جميعاً ، ويجوز أن يكون معناه : في السلم كافة ؛ أي في جميع شرائعه» .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٤ .

(٤) هكذا جاءت العبارة ، ولعل المراد : «يمنع الناس أن يشذوا» ، كما تفسِّره العبارة التالية .

(٥) هذه الكلمة زيادة من (ب) ، وليست مثبتة في (أ) .

(٦) (يكون) ساقطة من (ب) .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ ب .

٢٩. وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: يعنون بالوعد[١] العذاب الذي ينزل بهم بعد الموت في قول ابن عباس[٢]. وإنما قالوا هذا؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث. وقيل: يعنون العذاب النازل بهم في الدنيا، وهو قول الربيع[٣].

٣٠. فقال الله: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ الآية. قال ابن عباس: «يريد يوم القيامة»[٤].

وقال الضحاك: «يوم النزع والسياق». وعلى قول الربيع هو يوم بدر؛ لأن ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا[٥].

٣١. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يعني: مشركي مكة. ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾. قال ابن عباس والمفسرون: «يعني التوراة والإنجيل»[٦].

قال الفرَّاء: «لمَّا قال أهل الكتاب صفة محمد ﷺ في كتابنا، كفر أهل مكة بكتابهم»[٧].

---

(١) في (ب): (بالولد)، وهو تصحيف.

(٢) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣١، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٥٦، ولم ينسب إلى ابن عباس.

(٣) لم أقف عليه عن الربيع، وقد ذكر القرطبي ١٤/ ٣٠١ نحو هذا القول، ولم ينسبه.

(٤) انظر: تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣١، ولم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس عند أحد من المفسرين.

(٥) انظر: الوسيط ٣/ ٤٩٥، وزاد المسير ٦/ ٤٥٦.

(٦) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٤١، وذكره الطبري في تفسيره ٢٢/ ٩٧، وعزاه إلى قتادة، وذكره أيضاً الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٥١ وعزاه إلى السُّدِّي.

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٦٢.

ثم أخبر الله عن حالهم في الآخرة بقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ . قال مقاتل : «يعني مشركي مكة»[١] .

﴿مَّوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد يوم القيامة» .

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ . قال : «يجادل بعضهم بعضاً»[٢] ، وقال مقاتل : «يرد بعضهم على بعض القول»[٣] .

ثم أخبر عن جدالهم وما يجري بينهم ، فقال : ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ وهم الأتباع . ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ يعني الذين تكبروا عن الإيمان ، وهم الأشراف القادة . ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ معشر الكبراء . ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بتوحيد الله .

٣٣. وقوله : ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ . قال قتادة : «بل مكركم بالليل والنهار»[٤] .

وقال الكلبي ومقاتل : «بل قولكم لنا بالليل والنهار»[٥] .

قال الأخفش : «الليل والنهار لا يمكران لأحد ، ولكن يمكر فيهما ، كقوله[٦] : ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد :١٣] ، وهذا من سعة العربية»[٧] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ ب .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ ب .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤١٩ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٢ .

(٥) انظر : تفسير هود بن محكم ٣/ ٤٠١ ، فقد نسب القول إلى الكلبي ، ولم أقف عليه منسوباً إلى مقاتل ، وليس في تفسيره .

(٦) في (أ) : (كقولك) ، وهو تصحيف .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٦٣ .

وقال الـــمُبرِّد : «أي بـــل مكركم بالليل والنهار ، كما تقـــول العرب : نهاره صائم وليله قائم ؛ أي هو قائم في ليله صائم في نهاره» .

وقال جرير :

لقدْ لمتِنا يا أمَّ غيلانَ في السُّـرى ونمـتِ وما لـيلُ المَطيِّ بنـائمِ[١][٢]

وأنشد سيبويه :

قيامٌ لي ويحلُّ هيَ . . . .[٣]

أي : نمـــت فيه ، ونحو هذا قال الفرَّاء[٤] والزَّجَّـــاج[٥] . وذكر في مكر الليل والنهار قولان آخران ، كلاهما غير سائغ في اللغة والتأويل فتركتهما . وذكرنا معنى قوله : ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ في سورة يونس[٦] .

قوله : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ . قال ابن عباس : «غلو بها في النيران والشركاء ، وهم من الشياطين»[٧] .

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لجرير في ديوانه ٩٩٣ ، والكتاب ١/ ١٦٠ ، ولسان العرب (ربح) ٢/ ٤٤٢ ، وخزانة الأدب ١/ ٤٦٥ ، ٨/ ٢٠٢ . والشاهد فيه : وصف الليل بالنوم اتساعاً ومجازاً .

(٢) الكامل ١/ ١٨٨ ، ٣/ ١١٧٠ .

(٣) هكذا جاء في النســخ ، وهو تصحيــف ، والصواب : (فنام ليلي وتقضى همــي) ، وهو رجز لرؤبة في ديوانه ١٤٢ ، والمحتسب ٢/ ١٨٤ . والشاهد فيه قوله : «فنام ليلي» ، يريد نمت في ليلي ، فنسب الفعل إلى الليل للملابسة التي بين الشاعر وبيته .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٦٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٤ .

(٦) آية : ٥٤ .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٥ .

وقوله : ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ استفهام معناه التوبيخ ، والتقدير : إلَّا جزاء ما كانوا يعملون . قال مقاتل : «من الشرك في الدنيا»[١] .

٣٤. وقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ ؛ أي نبي ينذر أهل تلك القرية . ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ . قال ابن عباس : «الملوك وأهل الغنى»[٢] ، وقال مقاتل : «أغنياؤها وجبابرتها»[٣] ، وقال أبو إسحاق : «أو[٤] الترفه وهم رؤساؤها»[٥] . ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ ، وهو التوحيد ﴿كَافِرُونَ﴾ .

٣٥. قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ . قال ابن عباس : «يعني مشركي [مكة][٦] ، افتخروا على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بأموالهم وأولادهم ، وظنوا أن الله تعالى إنما خولهم بالمال والولد الكرامة لهم عنده ، فقالوا : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ ؛ أي إن الله قد أحسن إلينا بالمال والولد فلا يعذبنا» ، فقال ابن عباس[٧] : «أنكروا البعث والقيامة ، فقال الله تعالى لنبيه :

٣٦. ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ : يعني أن بسط الرزق وتضييقه من الله تعالى يفعله ابتلاءً وامتحاناً ، وليس شيء منه يدل على ما في العواقب ؛ فلا البسط يدل على رضا الله ، ولا التضييق يدل على سخطه» .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وذكره أكثر المفسرين . انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٩٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤١٩ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٥٢ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٤) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (أولو) ، كما في معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٥ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٧) لم أقف عليه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٥ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٥٢ .

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ : يعني أهل مكة . ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك حيث ظنوا أن أموالهم وأولادهم دليل على كرامة لهم عند الله .

٣٧. ثم صرَّح بهذا المعنى ؛ فقال : ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى﴾ . قال الفرَّاء : «جعل التي جامعة للأموال والأولاد ؛ لأن الأولاد يقع عليها التي وكذلك الأموال ، فصلح أن يقع عليهما جميعاً التي ، ولو قيل بالتي أو بالذين جاز ، كما تقول : أمَّا العسكر والإبل فقد أقبلا ، ولو قيل : بالذين ، يذهب إلى تذكير الأولاد وتغليب بني آدم لجاز ، ولو قال : لو وجهت التي إلى الأموال واكتفيت بها من ذكر الأولاد لصلح ، كما قال الأسدي[1] :

نحنُ بما عندَنا وأنتَ بما عندَكَ راضٍ والرأيُ مختلفُ»[2][3] .

---

(١) أبو حسان المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي ، نسبته إلى فقعس من بني أسد ابن خزيمة ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كثير الشعر ، كان مفرط القصر ضئيلاً . انظر : الشعر والشعراء ٤٤٠ ، ومعجم الشعراء ٤٠٨ .

والبيت من المنسرح ، وهو من الأبيات المختلف في نسبتها ؛ فقد نسبه المؤلِّف ـ رحمه الله ـ إلى الأسدي ، ونسبه سيبويه في الكتاب ١/ ٧٥ إلى قيس بن الخطيم ، وأورده ابن هشام في مغني اللبيب ٢/ ٦٢٢ من دون نسبة ، وكذا في المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٦٧٧ ، وفي المقتضب ٣/ ١١٢ ، ٤/ ٧٣ . وقال الأستاذ محمد عبدالخالق عضيمة محقق كتاب المقتضب ٤/ ٧٣ : «والبيت نسبه إلى قيس بن الخطيم سيبويه ، وكذلك فعل الأعلم وصاحب معاهد التنصيص ١/ ١٨٩ . وصحَّح البغدادي في الخزانة ٢/ ١٨٩ نسبة الشعر إلى عمرو بن امرئ القيس . والقصيدة التي فيها هذا الشاهد في ديوان قيس بن الخطيم ٨١ ، طبعة بغداد ٨١» . اهـ .

(٢) في (ب) : (يختلف) .

(٣) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٦٣ .

واختار أبو[١] إسحاق هذا القول ، فقال : «المعنى : وما أموالكم بالتي تقربكم ، ولا أولادكم بالذين يقربونكم ، ولكنه حذف اختصاراً وإيجازاً»[٢] .

قوله تعالى : ﴿تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ . قال ابن عباس : «يريد قربي»[٣] .

وقال مقاتل : «يعني قربة»[٤] .

قال الأخفش : «زلفى هاهنا اسم المصدر ، كأنه أراد بالتي تقربكم عند تقربنا»[٥] .

وذكرنا معنى الإزلاف عند قوله : ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾][٦] ، ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ [الشعراء :٩٠] . وقوله : ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾[٧] . قال الفرَّاء : «إن شئت أوقعت التقريب على من ؛ أي لا تقرب الأموال إلَّا مَن كان مطيعاً»[٨] ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج ، قال : «موضع مَن نصب بالاستثناء على البدل من الكاف والميم ، على معنى : ما تقرب الأموال إلَّا مَن آمن وعمل بها في طاعة»[٩] .

---

(١) في (ب) : (ابن) ، وهو تصحيف .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٥ .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد نسبه إلى مجاهد الطبري في تفسيره ٢٢/ ١٠٠ ، والماوردي في تفسيره ٤/ ٤٥٣ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦١٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢/ ٤٤٥ ، وعبارة الأخفش : «بالتي تقربكم عندنا إزلافاً» .

(٦) سورة الشعراء : الآية : ٦٤ ، وموضعها بياض في (ب) . قال في هذا الموضع من البسيط : «وقال أبو عبيدة : أزلفنا جمعنا ، قال : ومن ذلك سميت مزدلفة جمعاً . ثم قال : والزلف المنازل والمراقي ؛ لأنها تدني المسافر والراقي إلى حيث يقصده ، ومنه قوله : ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾» .

(٧) موضع (إلَّا) بياض في (ب) .

(٨) معاني القرآن ٢/ ٣٦٣ .

(٩) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٥ .

وعلى هذا يجب أن يكون الخطاب في قوله : ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ﴾ للمؤمنين والكافرين . والوجه أن يكون قوله : (إِلَّا مَنْ) استثناءً منقطعاً على تقدير : لكن مَن آمن وعمل صالحاً . وعلى هذا يدل تفسير ابن عباس ؛ [فإنه][1] قال في قوله : (إِلَّا مَنْ آمنَ وعملَ صالحًا) : « [يريد] أن عمله وإيمانه يقر [بأنه] مني»[2] . ولم يفسر بأن أمواله وأولاده تقربه حتى يكون مستثنى من الخطاب الأول .

وقوله تعالى : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ . قال ابن عباس : «يريد يضعف الله لهم حسناتهم»[3] .

وقال مقاتل : «يجزي بالحسنة الواحدة عشراً فصاعداً»[4] . وقال أبو إسحاق : «جزاء الضعف هاهنا عشر حسنات ، تأويله : فأولئك لهم جزاء الضعِّف الذي قد أعلمناكم مقداره ، وهو من قوله : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام :١٦٠]»[5] .

وقال ابن قتيبة : «لم يرد أنهم يجازون على الواحدة بواحدة مثله ولا [اثنين][6] ، كيف هذا والله يقول : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام :١٦٠] ، ولكنه أراد لهم جزاء الضعف ؛ أي التضعيف ، وجزاء التضعيف الزيادة ؛ أي لهم جزاء الزيادة . قال : ويجوز أن يجعل الضعف في معنى الجميع[7] ؛ أي جزاء الأضعاف ،

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .
(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٢ .
(٣) لم أقف عليه .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .
(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٥ .
(٦) ما بين المعقوفين غير واضح في النسخ جميعها ، والتصحيح من تفسير غريب القرآن لابن قتيبة .
(٧) في (ب) : (الجمع) .

ونحوه ﴿عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦١]»[١] . وقد مرَّ تفسير الضعف عند قوله : ﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الأعراف: ٣٨] ، وتأويل قوله : ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ وهو أن يجازي بالواحد[٢] عشراً إلى ما زاد ، فمعنى إضافة الجزاء إلى الضعف وهو الجزاء ، كإضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظ ، ويضمر المضاف إليه زيادة معنى نحو : حق اليقين ، وصلاة الأولى . ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ ؛ أي من الخير في الدنيا .

﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ : يعني غرف الجنة آمنون من الموت ، قاله مقاتل[٣] .

وقال ابن عباس : «يريد غرفاً من ياقوت ودر وزبرجد آمنون من الموت والعذاب»[٤] .

وقرأ حمزة : (في الغرفة) على واحدة ؛ لقوله : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الفرقان: ٧٥] . فكما أن الغرفة يراد بها الكثرة والجمع ، كذلك قوله : ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ يراد بها الكثرة واسم الجنس . وحجة الجمع قوله : ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠] ، وقوله : ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: ٥٨] . وكما أن غرفاً جمع كذلك الغرفات ينبغي أن تجمع ، والجمع بالألف والتاء قد تكون للكثرة كقوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، وقول آخر :

لنا الجَفناتُ الغُرُّ[٥]

---

(١) تفسير غريب القرآن ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٢) في (ب) : (بالواحدة) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٦ .

(٥) جزء من بيت ، وتمامه :

لنا الجَفناتُ الغُرُّ يلمعنَ بالضُّحَى وأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَمَا

والبيت من الطويل ، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ١٣١ ، والكتاب ٣/ ٥٧٨ ، ولسان العرب (جدا) ١٤/ ١٣٦ ، والمحتسب ١/ ١٨٧ ، وخزانة الأدب ٨/ ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٦ . الغر : الأبيض ، =

فهذا لا يريد إلَّا الكثرة ؛ لأن ما عداها لا يكون موضع افتخار[١] .

٣٩. قوله : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ ، وروى أبو عبيد عن اليزيدي : «أخلف الله لك»[٢] ، وروى سلمة عن الفرَّاء ، قال : «سمعت : أخلف الله عليك ، ويقال : أخلف الله لك ؛ أي أبدل الله لك ما ذهب»[٣] . ويقال : قد أخلف الشجر إخلافاً ؛ وذلك إذا أخرج ورقاً بعد ورق قد تناثر . والآية مختصرة ؛ لأن المعنى فهو يخلفه لكم أو عليكم . قال سعيد بن جبير : «وما أنفقتم من شيء في غير الإسراف ولا تقتير فهو يخلفه»[٤] .

وقال الكلبي : «ما تصدقتم وأنفقتم في الخير والبر من نفقة فهو يخلفه ، إمَّا أن يعجِّله في الدنيا وإمَّا أن يدَّخره له في الآخرة» ، وروى جابر بن عبدالله ، قال : قال رسول الله ﷺ : «كل معروف صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفه ضامناً إلَّا ما كان من نفقة في [بنيان][٥] أو معصية»[٦] . وقد بان بقول هؤلاء أن الآية ليست على ظاهرها من حيث إن كل منفق يستحق خلفاً عاجلاً ، بل هو للمقتصدين والمتصدقين ، ثم قد يكون عاجلاً في الدنيا ويكون مدخراً في الآخرة . وقد قال مجاهد في هذه الآية : «فإن الرزق مقسوم ، فلعل رزقه قليل وهو

= جمع غراء ، يريد بياض الشحم ، يقول : جفاننا مُعَدَّة للضيفان ومساكين الحي بالغداة ، وسيوفنا تقطر بالدم لنجدتنا وكثرة حروبنا . والشاهد فيه : جمع جفنة على جفنات مع أنها للقلة مراداً بها جمع الكثرة . انظر : الكتاب ٣/ ٥٧٨ .

(١) إلى هنا انتهى النقل من الحجة من قوله : (وقرأ حمزة) . انظر : الحجة ٦/ ٢٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (خلف) ٧/ ٤٠٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (خلف) ٧/ ٣٩٦ .

(٤) ذكر في تفسير الطبري ٢٢/ ١٠١ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/ ٧٠٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٦١ .

(٥) انظر : زاد المسير ٦/ ٤٦١ .

(٦) ما بين المعقوفين غير واضح في النسخ جميعها ، والتصحيح من الدر ومجمع البيان .

ينفقه نفقة الموسع عليه[١] ، وربما أنفق الإنسان ما له في الخير ثم لم يزل عائلاً حتى يموت» ، وهذا يؤكِّد ما قدَّمنا .

٤٠. قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد المشركين»[٢] ، وقال مقاتل : «يعني الملائكة ومَن عبدها»[٣] .

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ : معنى هذا الاستفهام كالذي في قوله لعيسى : ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى﴾[٤] الآية ، وهو استفهام توبيخ للعابدين ، فنزهت الملائكة ربها عن الشرك وتبرأوا منهم ، وهو قوله :

٤١. ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك ما أضافوه إليك من الشركاء والمعبودين .

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ . قال ابن عباس : «ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم ، ولسنا نريد غيرك ولياً»[٥] . ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ . قال قتادة : «يعني الشياطين»[٦] ، وقال مقاتل : «بل أطاعوا الشيطان[٧] في عبادتهم إيانا»[٨] . ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ : يعني المصدقين بالشياطين .] ثم يقول الله تعالى : ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ : يعني الآخرة . ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ : يعني العابدين والمعبودين . ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ ؛ أي نفعاً بالشفاعة ، ولا ضراً بالتعذيب ، يريد أنهم عاجزون[٩] لا

---

(١) ذكر في مجمع البيان ٨/ ٦١٦ ، وأورده السيوطي في الدر ، وعزاه إلى ابن عدي والبيهقي .
(٢) أورده السيوطي في الدر ٦/ ٧٠٦ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .
(٣) لم أقف عليه .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .
(٥) ذكر في الوسيط ٣/ ٤٩٧ ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٦٣ من دون نسبة .
(٦) لم أقف عليه .
(٧) في (ب) : (الشياطين) .
(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .
(٩) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (عاجزون) .

نفع عندهم ولا ضر ، وإنما يملكهم الله تعالى . وقال مقاتل : «لا تملك الملائكة ولا تقدر أن تدفع عنهم سوءاً إذا عبدوهم»[١] ، وعلى هذا يكون التقدير : ولا دفع ضر ، فحذف المضاف . ثم أخبر عنهم أنهم يكذبون بمحمد والقرآن ، ويسمون القرآن إفكاً وسحراً ، وهو قوله : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ .

٤٤. ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن بيِّنة ، ولم يكذِّبوا محمداً عن ثبت عندهم ، وهو قوله : ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ . قال قتادة : «﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ قال [قتادة :][٢] ما أنزل على العرب كتاباً قبل القرآن ، ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد ﷺ»[٣] .

ونحو هذا قال ابن عباس والكلبي[٤] .

قال الفرَّاء : «أي من أين كذبوا بك ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذي فعلوه»[٥] .

وقال مقاتل : «يقول ما أعطيناهم كتاباً بأن مع الله شريكاً ، ولا أرسلنا إليهم رسولاً بذلك»[٦] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠ ب .
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٠٣ ، وزاد المسير ٦/ ٤٦٣ ، والوسيط ٣/ ٤٩٨ .
(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٣ .
(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٦٤ .
(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ ب .

٤٥. ثم خوَّفهم وأخبر عن عاقبة مَن كان قبلهم من المكذبين، فقال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: يعني الأمم الكافرة.

﴿وَمَا بَلَغُوا۟﴾: يعني أهل مكة في قوله الجميع. ﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾[١]: المعشار والعشير والعشر جزء من العشرة. [قال المفضل][٢]: «لم يرد في العدد مفعال إلَّا هذا، والمرباع الربع[٣][٤]» وأنشد:

«لكَ المرباعُ منها والصفايا[٥]

والمعشار والعشر في قول الجميع. قال ابن عباس: «يقول: وما بلغوا قومك معشار ما آتينا[٦] من قبلهم، من القوة وكثرة المال وطول العمر وعمران الأرض»[٧].

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب).

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب).

(٣) في (ب): (الرفع).

(٤) لم أقف على هذا القول عن المفضل، وقد ذكره ابن منظور في اللسان (ربع) ٨/ ١٠١ عن قطرب، وكذا الزبيدي في تاج العروس (ربع) ٢١/ ٣١.

(٥) صدر بيت، وعجزه:

وَحُكْمُكَ والنَّشِيطَةُ والفُضُولُ

وهو من الوافر لعبدالله بن عنمة الضبي في الأصمعيات ٣٧، وتهذيب اللغة ٢/ ٣٦٩، ١١/ ٣١٤، ١٢/ ٤١، ٢٤٩، ولسان العرب (فضل) ١١/ ٥٢٦، و(صفا) ١٤/ ٤٦٢، وتاج العروس (نشط) ٢١/ ٢٠.

(٦) في (أ): (آتيناهم).

(٧) ورد في تفسير الطبري ٢٢/ ١٠٣، ١٠٤، ومجمع البيان ٨/ ٦١٨، وزاد المسير ٦/ ٤٦٤، وعزاه إلى الجمهور.

وقال قتادة : «ما بلغوا هؤلاء معشـــار ما أتوا[١] أولئـــك من القوة والجلد ، فأهلكهم الله وهم أقوى وأجلـــد»[٢] ، وهو قوله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ . قال ابن عباس : «يقول كيف رأيت ما صنعت بالمكذبين»[٣] .

وقـــال مقاتل : «فكيف كان نكير يعني تغيـــيري ، أليس وجدوه حقاً ، يعني العذاب ، يحذر أهل مكة مثل عذاب الذين كانوا أشد منهم قوة»[٤] . والنكير اسم بمعنى الإنكار . قال أبو عبيدة : «نكيري : عقوبتي»[٥] . [وعناي][٦] .

قال الزَّجَّاج : «وحذفت الياء لأنه آخر آية»[٧] .

٤٦. وقوله تعـــالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ ؛ أي آمركـــم وأوصيكم ، أمر الله نبيـــه ﷺ . قال الزَّجَّاج : « [أمـــره][٨] أن يقول لقومه : ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾»[٩] .

قال مجاهد : «لا إله إلَّا الله»[١٠] ، وروي ذلك عن ابن عباس[١١] .

---

(١) هكذا في (أ) ، وهي بياض في (ب) ، والصواب : (ما أوتي) .
(٢) انظر : المراجع السابقة ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٢ .
(٣) لم أقف عليه .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .
(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٥٠ .
(٦) ما بين المعقوفين يظهر أنه زيادة من النساخ ؛ إذ لا معنى له .
(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٦ .
(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .
(٩) انظر : المرجع السابق .
(١٠) ذكر في زاد المسير ٦/ ٤٦٤ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣١١ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/ ٧١٠ ، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد .
(١١) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٣ .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قال : «بطاعة الله»[١] .

وقال مقاتل : «بكلمة واحدة الإخلاص»[٢] .

وقال أبو إسحاق : «والطاعة تتضمن التوحيد والإخلاص ؛ أي فأنا أعظكم بهذه الخصلة الواحدة»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ يصلح أن يكون محل (أن) خفضاً على البدل من واحدة ، ويصلح أن يكون نصباً ، على تقدير : لأن تقوموا ، فحذفت اللام ، وهو قول الزَّجَّاج[٤] ، ويصلح أن يكون رفعاً بتقدير : هي أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، تقوموا منفردين ومجتمعين ثم تتفكروا ؛ أي الواحدة التي أعظكم بها قيامكم وتشمركم لطلب الحق بالفكرة مجتمعين ومنفردين[٥] . وتم الكلام عند قوله : ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ لتعلموا صحة ما أمرتكم به . قال مقاتل : «يقول : ألا يتفكر الرجل منكم وحده ومع صاحبه ، فينظر أن في خلق السماوات والأرض دليلاً على أن خالقها واحد لا شريك له»[٦] .

ثم ابتدأ فقال : ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ : هذا معنى قول المفسرين في هذه الآية . وأمَّا أصحاب المعاني فإنهم جعلوا الآية متصلة . قال الفرَّاء : «أي يكفيني أن يقوم الرجل منكم وحده أو هو وغيره ، ثم تتفكروا هل جربتم على محمد كذباً أو رأيتم به جنوناً ، ففي ذلك ما يتيقنون به أنه نبي»[٧] .

---

(١) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٨ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ١٠٤ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٥٥ ، وزاد المسير ٦/ ٤٦٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ ب .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٧ .

(٥) انظر : إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٢/ ١٩٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٦٠ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ ب .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٢٦٣ .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : ثم تتفكروا فتعلموا أن النبي ﷺ ما هو بمجنون كما يقولون»[١][٢] ، وعلى هذا الآية نظمها منفصل ، ومعنى قوله : بواحدة ؛ أي بخصلة واحدة ، وهو معنى قول الفرَّاء : «يكفيني أن يقوم الرجل منكم وحده أو هو وغيره» .

وشرح ابن قتيبة الآية على هذا المعنى شرحاً شافياً ، فقال : «تأويله أن المشركين قالوا : إن محمداً مجنون وساحر وأشباه هذا ، فقال الله لنبيه ﷺ : قل لهم : اعتبروا أمري بواحدة ، وهي أن تنصحوا لأنفسكم ولا يميل بكم هوى عن الحق ، فتقوموا لله وفي ذاته مقاماً يخلو فيه الرجل بصاحبه ، فيقول له : هلمَّ فلنتصادق ، هل بهذا الرجل جنة قطُّ أو جرَّبنا عليه كذباً ؟ وهذا موضع قيامهم مثنى ، ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيتفكر وينظر ويعتبر (فهذا موضع فرادى ، [فإن][٣] في ذلك ما دلهم على أنه نذير ، وكل مَن يخبر في أمر قد)[٤] اشتبه عليه [واستبهم][٥] أخرجه من الحيرة فيه : أن يسأل ويناظر ، ثم يتفكر ويعتبر» . انتهى كلامه[٦] . ومعنى القيام [هاهنا][٧] التجرد والانكماش لطلب الحق ، كما يقال : قام فلان بهذا الأمر ، إذا تجرد [لكفايته][٨] . ونظير هذه الآية في اللفظ والمعنى قوله في سورة الأعراف : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٩] وقد مرَّ الكلام فيه .

---

(١) في (أ) : (يقولون) ، وهو تصحيف .
(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٧ .
(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .
(٤) ما بين القوسين مكرر في (أ) .
(٥) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .
(٦) تأويل مشكل القرآن ٣١٢ ، ٣١٣ .
(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .
(٨) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .
(٩) آية : ١٨٤ .

والقُـرَّاء أيضاً مختلفـون في الوقف على قولـه : ﴿وَٰحِدَةً﴾ ، وكان نافع يرى الوقف عندها ، وغيره لا يرى ذلك . وكذلك قوله (ثم تتفكروا) ، كان أبو حاتم يقول : «هو تمام» ، وهو على المذهب[١] الأول في تفسير الآية[٢] .

قوله : ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد بين يدي القيامة»[٣] ، وقال مقاتل : «بين يدي عذاب شديد في الآخرة»[٤] .

٤٧. وقولـه : ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : «معناه : ما سألتكم من أجر على الرسالة التي أؤديها إليكم . ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ : وتأويله ؛ أي لسـت أجر إلى نفسي عرضاً من أعراض الدنيـا . ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ ؛ أي إني إنـما أطلب ثـواب الله بتأدية الرسـالة»[٥] . [أجراً فتتهموني بذلك][٦] . ومعنى ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ ؛ أي لم أسـألكم شـيئاً ، كما يقول القائل : مالي في هذا فقد وهبت لك ، يريد ليس فيه شيء .

وذكر الكلبي ومقاتل ما دلَّ على أنه كان قد سألهم شيئاً ثم تركه لهم كما يقتضي ظاهر اللفظ ، وهو أنهما قالا : «إنه سألهم أن لا يؤذوا قرابته فانتهوا عن ذلك ، ثم سمعوه يعيب آلهتهم ، فقالوا : نهانا أن لا نؤذي[٧] قرابته ففعلنا ، وهو يذكر آلهتنا ويعيبها ، فأكثروا في ذلـك ، فنزل[٨] : ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ ؛ أي إن

---

(١) في (أ) : (مذهب) ، وهو تصحيف .

(٢) انظر : القطع والائتناف ٣٤٥ ، ومنار الهدى في الوقف والابتداء ٢٢٧ .

(٣) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ ب .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٧ .

(٦) ما بين المعقوفين يظهر أنه كلام زائد .

(٧) في (أ) : (يؤذي) ، وهو تصحيف .

(٨) انظر : تفسـير مقاتل ١٠٠ ب ، ولم أقف عليـه عن الكلبي ، وقد ذكره السـمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٧٧ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٢٠ من دون نسبة .

شـــئتم فآذوهم ، وإن شئتم فلا تؤذوهم ، وعلى هذا الأجر الذي سألهم هو الكف عن أقاربه ، ثم تركه لهم ؛ لقوله : ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾» . والقول الأول أصح ؛ لأنه وإن سألهم الكف عن أقاربه ، فليس ذلك بأجر على تبليغ الرسالة .

وقوله تعـــالى : ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ . قال ابن عباس : «يريد لم يغب عنه شيء»[١] ، وقال مقاتل : «شهيد بأني نذير وما بي جنون»[٢] .

٤٨. وقولـــه تعـــالى : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ . قـــال الليـــث : «القذف : الرمي بالسهم[٣] والحصى والكلام وكل شيء ، حتى يقال : قذفت الناقة باللحم ؛ أي رميت به فأكثرت منه»[٤] . وقول النابعة :

مَقذوفةٍ بدخص النَّحضِ بازِلُها[٥]

ومن القذف الـــذي هو الرمي بالـــكلام قوله تعـــالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ [الأنبياء : ١٨] ، وقد مرَّ . قال ابن عباس : «يقذف بالحق يريد : يدفع الباطل

---

(١) انظر : الوسيط ٣/ ٤٩٩ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ أ .

(٣) في (أ) : (بألسنتهم) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (قذف) ٩/ ٧٤ ، وفيه : «فاكتنزت منه» .

(٥) صدر بيت ، هكذا أثبت في النسخ ، وهو تصحيف ، والبيت هو :

مَـقْذوفـةٍ بـدَخيـس النَّـحْضِ بـأزْلُـها لـهُ صَـريـفٌ صَـريـفَ الـقَـعْـوِ بـالمَـسَـدِ

وهو من البســـيط للنابغة الذبياني في ديوانه ١٦ ، وتهذيب اللغة ٩/ ٧٤ ، واللسان (قذف) ٩/ ٢٧٧ ، و(بزل) ١١/ ٥٢ ، و(قعا) ١٥/ ١٩١ ، والكامل ٣/ ٨٤٤ ، والكتاب ١/ ٣٥٥ .

ومعنى البيت : يصف ناقة بالقوة والنشاط ، فيقول : كأنما قذفت باللحم لتراكمه عليها . والنحض : اللحم ، ودخيســـة : ما تداخل منه وتراكب ، والبازل : السن تخرج عند بزول الناقة وذلك في التاسع من عمرها ، والصريف : صوت أنيابها إذا حكت بعضها بعض نشاطاً ، والقعو : ما تدور عليه البكرة إذا كان من خشب . انظر : الكتاب ١/ ٣٥٥ .

بالحق»[١] ، وعلى هذا التقدير : يقذف الباطل بالحق ، وقال مقاتل : «نتكلم بالوحي»[٢] .

وقال الكلبي : «يرمي[٣] بالحق ننزل الوحي من السماء»[٤] ، وهو اختيار ابن قتيبة ، قال : «يلقيه إلى أنبيائه»[٥] .

وقوله : ﴿عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ﴾ . قال الفرَّاء : «الوجه الرفع ؛ لأن النعت إذا جاء بعد الخبر رفعته العرب في أن يقول[٦] : إن أخاك قائم الظريف ، ومثله قوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص :٦٤]»[٧] ، وقال أبو إسحاق : «ورفعه على وجهين ؛ أحدهما : أن يكون صفة على موضع : إن ربي يقذف هو بالحق علام الغيوب»[٨] . قال ابن عباس : «علم ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض»[٩] .

٤٩. قوله تعالى : ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الدين والإيمان»[١٠] ، وقال مقاتل : «يعني الإسلام»[١١] ، وقيل : «القرآن»[١٢] .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ أ .

(٣) في (ب) : (نرمي) ، وهو تصحيف .

(٤) ورد في الوسيط ٣/ ٤٩٩ ، وبعض المفسرين ذكروا هذا القول عن قتادة . انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٥٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣١٢ .

(٥) تفسير غريب القرآن ٣٥٨ .

(٦) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب كما هو عند الفرَّاء : (يقولون) .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٦٤ .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٧ .

(٩) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٣ .

(١٠) لم أقف عليه .

(١١) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ أ .

(١٢) نسب هذا القول إلى قتادة . انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٠٦ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٥٧ .

وقال أبو إسحاق : «جاء أمر الله الذي هو الحق»[١] . ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ؛ أي ذهب ذهاباً كلياً وزهق فلم يبقَ له بقية ، ويقال : لكل ذاهب ما يبدي وما يعيد ، ومنه قول عبيد :

فاليومَ لا يُبدي ولا يُعيدُ[٢]

وهذا معنى قول ابن عباس : «يريد إقبال الباطل وإدباره»[٣] .

وقال قتادة : «الباطل : السلطان[٤] ، ما يبدئ[٥] وما يعيد ؛ أي[٦] ما خلق ابتداء ويبعث»[٧] ، وهو قول مقاتل والكلبي[٨] .

وقال الحسن : «الباطل كل معبود من دون الله ، يقول ما يبدي لأهله خيراً في الدنيا وما يعيده في الآخرة»[٩] .

٥٠. وقوله : ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ . قال مقاتل : «إن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ : لقد ضللت حين تركت دين آبائك ، فقال الله : ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ كما تزعمون فإنما أضل على نفسي ؛ أي إثم ضلالتي على

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٨ .

(٢) عجز بيت ، وصدره :

أقفرَ منْ أهلهِ عبيدُ

وهو من البسيط لعبيد بن الأبرص في ديوانه ٤٥ ، والشعر والشعراء ١٤٤ ، وشعراء النصرانية ٤/ ٦٠١ ، واللسان ٥/ ١١٠ ، وكتاب العين ٥/ ١٥١ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) هكذا في النسخ ، وهو تصحيف ، والصواب : (الشيطان) .

(٥) (يبدي) مكررة في (ب) .

(٦) (أي) ساقطة من (ب) .

(٧) انظر : الوسيط ٣/ ٤٩٩ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣١٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٥ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ أ ، والوسيط ٣/ ٤٩٩ .

(٩) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٢ ب .

نفسي»[١] . ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ من الحكمة والبيان . ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ الدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾ مني ، قاله ابن عباس[٢] .

٥١. وقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ . قال ابن عباس : «يريد حتى بهتوا»[٣] .

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ . يقول : لا يفوتني أحد ، ولا ينجو مني ظالم . ومذهب أكثر أهل التفسير أن هذا الفزع لهم عند البعث ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : «هذا في وقت بعثهم»[٤] ، وهو قوله : ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني القبور . وذهب آخرون إلى أن هذا الفزع لهم في القيامة ، وهو مذهب الحسن وابن معقل[٥] وبلال بن سعد[٦] . قال بلال : «إن الناس يوم القيامة حوله ، وهو قوله : ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾» . قال ابن معقل[٧] : «أفزعهم يوم القيامة فلم يفرقوا» .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ أ .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٤ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٤ ، وزاد المسير ٦/ ٤٦٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٨ .

(٥) ورد قول ابن معقل والحسن في تفسير الطبري ٢٢/ ١٠٨ ، والدر المنثور ٦/ ٧١٢ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٦٧ ، ونسبه إلى الأكثرين .

(٦) أبو عمرو (قيل : أبو زرعة) بلال بن سعد بن تميم الأشعري (قيل : الكندي الدمشقي) ، شيخ أهل دمشق في زمانه ، تابعي جليل ، كانت لأبيه سعد صحبة ، روى عن أبيه سعد وعن جابر بن عبدالله وأبي الدرداء وغيرهم ، وروى عنه خلق كثير ، وكان واعظاً بليغاً عابداً مجتهداً ، توفي ـرحمه الله ـ سنة عشر ومائة ونيف . انظر : تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٣١٨ ، وتهذيب الكمال ٤/ ٢٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٩٠ .

(٧) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد بن محفوظ بن معقل النيسابوري ، شيخ محتشم ، كان أحد المجتهدين في العبادة ، سمع أبا بكر بن خزيمة وأبا العباس بن السراج ، وروى عنه الحاكم ، توفي ـرحمه الله ـ في ربيع الأول سنة ٣٨١هـ . انظر : تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٣١٨ ، وتهذيب الكمال ٤/ ٢٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٩٠ .

وقوله تعالى : ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ . قال ابن عباس وأكثر المفسرين : «يريد من تحت أقدامهم»[١] .

وقال آخرون : «من حيث كانوا ؛ لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب ، لا يبعدون عنه ولا يفوتونه»[٢] .

وقال أبو إسحاق : «وجواب لو محذوف . المعنى : لو ترى ذلك لرأيت ما تعتبر به عبرة عظيمة»[٣] .

وقال صاحب النظم : «قوله : ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ منظوم بما بعده ، وهو قوله : ﴿وَأُخِذُواْ﴾ ، والتقدير : ولو ترى إذ فزعوا وأخذوا من مكان قريب فلا فوت ؛ أي فلا يفوتون» .

وقال الزَّجَّاج : «أي فلا فوت لهم ، لا يمكنهم أن يفوتوا»[٤] .

٥٢ـ٥٣. وقوله : ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ . قال مقاتل : «بالقرآن»[٥] ، وقال غيره : «بمحمد ﷺ»[٦] .

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ . قال أبو إسحاق : «التناوش : التناول ؛ أي وكيف لهم أن يتناولوا ما كان مبذولاً لهم ، وهو الإيمان والتوبة ، وكان قريباً منهم ، وكيف يتناولونه حين بَعُدَ عنهم . ومن همز فلأن واو التناوش مضمومة وكل واو

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٥٨ ، ونسبه إلى مجاهد ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٦٩ ، ونسبه إلى مقاتل .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٠٩ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٥٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٦ .

(٣) لم أقف على قول الزَّجَّاج ، وليس في معاني القرآن .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٨ .

(٥) لم أقف عليه عن مقاتل ، وليس في تفسيره .

(٦) وبه قال قتادة . انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣١٥ ، وزاد المسير ٦/ ٤٦٩ .

مضمومة ضمتها لازمة جاز إبدال الهمزة منها ، نحو : أدور وتقاوم ، قال : يجوز أن يكـــون التناوش من النئيش ، وهو الحركة في الإبطاء . والمعنى : من أين لهم أن يتحركوا في ما لا حيلة لهم فيه ؟»[١] .

وقال الفرَّاء : «هما متقاربان ، مثل : ذمت الرجل وذأمته ، إذا عبته»[٢] ، وقال أبـــو علي : «المعنى : كيف[٣] يتناولونه من بُعْدٍ ، وهم لم يتناولونه من قرب في حين الاختيار والانتفاع بالإيمان» . والتناوش : التناول من : نشت تنوش . قال :

تَنُوشُ البَرِيرَ حَيْثُ طابَ اهْتِصارُهَا [٤]

وقال : وَهيَ تَنوشُ الـحَوْضَ نوشاً منْ علا فمنْ علا[٥] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٩ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٦٥ .

(٣) في (ب) : (وكيف) .

(٤) عجز البيت جاء في النسخ على هذا النحو ، وهو تصحيف ، والبيت هو :

فمَـا أُمُّ خِشْفٍ بـالعَـلاَيَـةِ شـادِنٍ تَـنُـوشُ البَرِيرَ حَـيْـثُ طـابَ اهْـتِصارُهَا

وهو من الطويل لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١/ ٧١ ، ولسان العرب (نوش) ٦/ ٣٦٢ ، و(علا) ١٥/ ٩٢ ، وتاج العروس و(نـوش) ١٧/ ٤٣١ . ومعنى البيت : العلاية : موضع ، وفارد : تروى شـادن ومشـدن . والمعنى : توي وتحـرك ، وتنوش ؛ أي تتنـاول ، والبريـر : ثمر الأراك ، واهتصارها : جذبها غصن الأراك وكسرها إياه . انظر : شرح أشعار الهذليين ١/ ٧١ .

(٥) صدر بيت من الرجز لغيلان بن حريث ، وعجزه :

نَوْشاً بِه تَقْطَعُ أَجْوازَ الفَلاَ

وصدره جاء في النسخ جميعها كما أثبته ، والصحيح :

وهيَ تنوشُ الحوضَ نوشاً منْ علا

انظره منسوباً إليه في مجاز القرآن ٢/ ١٥٠ ، واللسان ٦/ ٣٦٢ ، وتاج العروس ١٧/ ٤٣١ ، والكتاب ٣/ ٤٥٣ ، والطبري ٢٢/ ١١٠ ، والقرطبي ١٤/ ٣١٦ . لم أقف لقائل البيت غيلان بن حريث الربعي على ترجمة .

ومعنـى البيت : يصف إبلاً وردت حوضاً وتناولت ما فيه تنـاولاً من فوق ، والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسيط .

فمَن لم يهمز جعله تفاعلاً من النوش الذي هو التناول ، ومَن همز احتمل أمرين ؛ أحدهما : أنه أبدل من الواو الهمزة لانضمامها ، مثل : أقتت وأدؤر ، والآخر : أن يكون من النأش ، وهو التطلب[١] ، والهمزة منه عين . قال رؤبة :

أقحمني جارُ أبي الخاموشِ إليكَ نأشُ القَدَرِ النئوشِ

وهذا القول الثاني هو قول أبي عبيدة[٢] ، وذكر بيت رؤبة وفسَّره : «وتطلب القدر» .

قال ابن عباس : «يريد تناول التوبة يومئذٍ لا يقبل»[٣] .

وقال قتادة : «أنَّى لهم أن يتناولوا التوبة»[٤] .

روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه قال : «يسألون الرد وليس بحين رد»[٥] ، وهذا معنىً وليس بتفسير .

---

(١) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (الطلب) ، كما في الحجة ٦/ ٢٤ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٥١ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) ذكر في معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٨ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/ ٧١٥ ، وعزاه إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد .

(٥) ورد في تفسير الطبري ٢٢/ ١١٠ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٤ ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي» ، وأورده السيوطي في الدر ٦/ ٧١٥ ، وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

ونحو هذا قول الكلبي في قوله : ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ . يقول : «الرجعة إلى الدنيا ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ بعد الموت»[١] ، وقال عطية : «وأنَّى لهم الرد حين لا رد ، والتوبة حين لا توبة»[٢] .

وقال مقاتل : «من أين لهم التوبة حين لا توبة ، [وقال مقاتل : من أين لهم التوبة][٣] عند نزول العذاب»[٤] . ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ من الدنيا ، وهذا كله معنىً . وتفسير التناوش ما ذكره أصحاب المعاني .

وقوله : ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ : واو الحال ؛ أي كيف يبلغون إلى التوبة وقد كانوا كافرين بمحمد والقرآن في الدنيا قبل نزول العذاب وقبل ما عاينوا من الأهوال .

وقوله : ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ . قال مجاهد : «يرمون محمداً بالظن [لا باليقين][٥] ، وهو قولهم : إنه ساحر وكاهن وشاعر»[٦] . واختار الفرَّاء هذا القول ، فقال : «يقولون ليس بنبي ، وقد باعدهم الله أن يعلموا ذلك ؛ لأنه لا علم لهم إنما يقولون بالظن»[٧] ، فعلى هذا الغيب الظن ، وهو ما غاب علمه عنهم ، والمكان البعيد : بُعْدهم عن علم ما يقولون .

---

(١) أورده بعض المفسرين منسوباً إلى ابن عباس ومجاهد . انظر : تفسير الطبري٢٢/ ١١٠ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٥٩ ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة في (أ) ، وليس هو في (ب) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ ب .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٩ ، وانظر أيضاً : تفسير الطبري ٢٢/ ١١٢ .

(٧) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٦٥ .

وقال قتادة : «يقذفون بالغيب يرجمون بالظن ، يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار»[١] ، وعلى هذا المعنى : وقد كانوا يتكلمون بما غاب عنهم ويحكمون عليه بالكذب في الدنيا ، وهو قوله : ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ . قال مجاهد : «في الدنيا ، وقد بعدت الدنيا من الآخرة جداً عند انقضائها وقيام الساعة»[٢] ، وعلى هذين القولين قوله : ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ معطوف على ما قبله .

وقال مقاتل : ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ : «أي : ويتكلمون بالإيمان وقد غاب عنهم الإيمان عند نزول العذاب ، فلم يقدروا عليه»[٣] ، وهو قوله : ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ ، وعلى هذا : ويقذفون مستأنف ؛ لأنه خبر عنهم أنهم آمنوا حين لا ينفعهم الإيمان بعد أن كفروا في الدنيا .

وشرح ابن قتيبة هذه الآيات ، فقال : «يقول : ولو ترى يا محمد فزعهم حين لا فوت ولا مهرب لهم ولا ملجأ يفوتون به ويلجؤون إليه ، وهذا نحو قوله : ﴿فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ ؛ أي نادوا حين لات مهرب . ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني القبور .

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ ؛ أي بمحمد . ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ ؛ أي التناول أي كيف لهم بنيل ما طلبوا من الإيمان في هذا الوقت الذي يقال فيه كافر ولا يقبل فيه توبة ؟ !

وقوله : ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ : يريد بعد ما بيَّن مكانهم يوم القيامة ، وبيَّن المكان الذي تقبل فيه الأعمال .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١١٢ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٢٢ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣١٧ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٩ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٥٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٢٩ .

(٣) سقطت هذه الآية من الأصل في تفسير مقاتل ، وعلقت بالهامش ، ولكنها غير واضحة ، ولم أقف عليه .

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ ؛ أي بمحمد ، يقول : كيف ينفعهم الإيمان[١] وقد كفروا به في الدنيا ؟ ! ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ ؛ أي بالظن أن التوبة تنفعهم . ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ ؛ أي بعيد من موضع يقبل فيه التوبة . ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ : الأمم الخالية[٢] .

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة في قوله : ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ غير ما قدَّمناه ، قال : «وكان بعض المفسرين يحمل الفزع عند نزول بأس الله من الموت أو غيره ، وتعبيره بقوله : ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر :٨٤] إلى آخر السورة»[٣] ، وهذا مذهب مقاتل ، قال : «هذا عند نزول العذاب بهم في الدنيا»[٤] .

وقال الضحاك وزيد بن أسلم : «هذا الفزع وما ذكر كله هو يوم بدر ؛ إذ نزل بهم العذاب وشدة الموت قالوا : آمنَّا به ، ولم ينفعهم ذلك»[٥] .

٥٤. وقوله : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يعني الرجعة إلى الدنيا»[٦] .

وقال الحسن : «يعني الإيمان» ، وهو قول سفيان[٧] .

وقال مجاهد : «﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من مال وولد»[٨] .

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : (في الآخرة) .
(٢) تأويل مشكل القرآن ٣٣٠ ، ٣٣١ .
(٣) تأويل مشكل القرآن ٣٣١ .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ ب .
(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٠٧ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣١٤ ، وزاد المسير ٦/ ٤٦٧ .
(٦) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٤ ، والوسيط ٣/ ٤٩٩ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٠ .
(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١١٢ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٦٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٣١ .
(٨) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١١٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٣١ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٠ .

وقال مقاتل : «يعني من أن تقبل التوبة منهم»[١] .

وقوله : ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ . قال ابن عباس : «بنظرائهم»[٢] . قال مجاهد : «الكفار من قبلهم»[٣] .

وقال الزَّجَّاج : «أي بمَن كان مذهبه مذهبهم»[٤] .

قال أبو عبيدة : «شيعة وشيع وأشياع»[٥] ، وهذا مما تقدَّم القول فيه[٦] .

وقوله : ﴿مِّن قَبْلُ﴾ . قال مقاتل : «من قبل هؤلاء»[٧] .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ . قال : «من العذاب أنه نازل بهم» .

قال الكلبي : «في شك مما نزل بهم»[٨] . والكناية في ﴿إِنَّهُمْ﴾ تعود إلى الكفار الذين أخبر عنهم في قوله : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ لا إلى الأشياع . ﴿مُّرِيبٍ﴾ : موقع لهم الريبة والتهمة .

* * *

(١) ليس في تفسيره ، ولم أقف على هذا القول منسوباً إليه .
(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٧١ نحو هذا القول عن الزَّجَّاج .
(٣) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٩ .
(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٩ .
(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٥١ .
(٦) عند تفسير قوله : ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام :٦٥] .
(٧) ليس في تفسيره ، ولم أقف على هذا القول منسوباً إليه ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٧١ ، ونسبه إلى المفسرين .
(٨) لم أقف عليه عند الكلبي ، وانظر : تفسير هود ٣/ ٤٠٧ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧١ .